11الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: لسانيات تطبيقية

تجلّيات الإعجاز البيانيّ في تعدّد القراءات القرآنيّة

– نماذج مختارة –

مقدمة من قبل:

الطالبة: اسمهان رمضاني

الطالبة: منار حليمي

تاريخ المناقشة: 22 / 06 / 2024

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
د/ نبيل أهقيلي	أ. محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسًا
د/ نبيلة قريني	أ. محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفًا
د/ فريدة معلم	أستاذ مساعد	جامعة محمّد لمين دباغين سطيف2	ممتحنًا

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

* شكر و عرفان *

الحمد لله وهو المستحق بالثّناء والحمد و أهل الفضل في هذا التوفيق.

- نرفع أسمى عبارات التقدير والاحترام إلى أساتذتنا الأفاضل بقسم اللغة والأدب العربيّ، إيمانا بفضلهم واعترافا بجميلهم، فحقيق علينا أن نشيد بهم، و خليق بنا أن ننحني أمامهم تعظيما وإجلالاً وتقديرا.
- كما نتقدم بالشكر الخاص والامتنان والعرفان إلى أستاذتنا الفاضلة الدكتورة **" قريني نبيلة "** التي كانت صدرا رحبا لنا لا يمل ولا يكل عن توجيهنا إلى كل ما فيه صواب طيلة فترة إشرافها وصبرها لإنجاز هذا البحث.
- ونتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذنا **" بن دحمان جمال"** على توجيهاته السديدة عرفانا منا على توجيهاته السديدة في اختيار مصادر و مراجع قيمة أسهمت في إثراء هذا البحث.

* الإهداء *

إلهيّ لا يطيب الليل إلا بشكرك

ولا يطيب النهار إلا بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

- إلى من أجمل اسمه بكلّ افتخار ... إلى سنديّ ومسندي وإتكائي...حبيب قلبي...وبلسم جراحي...والدي الغالي.

- إلى أنس روحي وراحة قلبي .... إلى بسمة الحياة وسر الوجود... إلى ملهمتي ... إلى أماني ومأمني والدتي الغالية.

- الى توأم روحي .... ورفيقة ذكرياتي نور عيوني **اختي.**

- إلى سندي الثاني .... وضلع الثابت **أخي**

- إلى صديقة الدرب ... وجليسة الروح... ورفيقة المشوار **منار**

- إلى من كانتا أجمل شيء قدمته لي الجامعة ندى ريحان و ايمان

- إلى من كانت دعواتهم لي حاضرة في الستر والعلن....

جدتي وخالاتي

- إلى كل من دعمني من بعيد أو قريب لإتمام هذا المشوار الجامعي

– اسمهان –

* الإهداء *

الحمد لله الذي بنعمته وببركته تكتمل الأعمال، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين، أهدي ثمرة جهدي وحصاد تعبي الذي دام خمس سنوات إلى:

- والداي أطال الله عمريهما: "أبي العزيز " سندي وقرة عيني الذي رباني و رعاني، والذي لم يبخل عليّ بشيء، وإلى "أمي الغالية " التي حملتني وهنا على وهن، وتعبت وسهرت لأجلي، وغرست في نفسي حب العلم.

- وإلى من تجمعني بهم صلة الدم ورابط الأخوة ، أخواتي الثلاث : "غادة" و "لينة" و " تقوى".

- و إلى رفيقة دربي ومن جمعتني معها أقدس صلة و زميلتي في البحث "إسمهان"، التي كانت ولا زالت نعم الرفيقة والصديقة .

- و إلى صديقاتي العزيزات.

- و إلى كل من تربطني بهم صلة قربى أو مودة.

- منـــــــار -

الرموز المستعملة في البحث

الرّمز	دلالته
ص	صفحة
مر.ن	مرجع نفسه
مر.س	مرجع سابق
ص.ن	صفحة نفسها
تح	تحقيق
د.تح	دون تحقيق
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تحقيق
مج	مجلد
ع	عدد
د.ب	دون بلد
د.م	دون مدينة

مقدمة

شرّف اللهُ أمة العرب بأن اصطفى منهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– وأتمّ تشريفهم بأن جعل آخر رسالاته قرآنًا يُتلَى بلسان عربيّ مُبين.

وجاء هذا القرآن شريعة، ومنهاجًا، وإعجازًا في الآن ذاته؛ إذْ جعل الله تعالى معجزة نبيّه – كما جعل لكلّ نبيّ مُرسَلٍ مُعجزة–في هذا الكتاب، فتحدّى العرب على أن يأتوا بعشر سور من مثله، بل بسورة، فلم يستطيعوا مجاراته، وأقرّوا بعجز فصاحتهم وبيانهم أمام بيان وفصاحة النّصّ القرآنيّ.

ومن ثمة كان إعجاز القرآن في لغته، وكانت لغته أساس كلّ أضرب الإعجاز التي فصّل فيها الدارسون من قدامى ومحدثين، ويشمل هاته الأضرب نظم القرآن واطّراده وملازمته لكلّ سورة من سوره، وتتجاذبها الملامح الأسلوبيّة والصّوتيّة والصّرفيّة والمعجميّة، مع شواهد مبثوثة فيه على وجوه عدّة من الإعجاز، تتفاوت تقديرات العلماء لها، وبلغت بها حدًا لا حصر له، اتّفاقًا منها على إعجازه الغيبيّ والتّشريعيّ والعلميّ والنّفسيّ والتّاريخيّ.

ولعلّ من ملامح الإعجاز الخفيّة أنْ يسَّر الله تعالى على العرب –على تعدّد لغاتهم–تلاوة نصّ القرآن وفق منطقهم، وما جرت عليه عاداتهم اللّغويّة، رفعًا للحرج، ودرءًا للعسر، وتمامًا في البيان، فجاءت القراءات القرآنيّة.

ولئن كانت القراءات القرآنيّة تقوم على التعدّد في جوانب كثيرة صوتيّة وصرفيّة وتركيبيّة، بما قد يصل بها إلى درجة الاختلاف في المعنى، فإنّها في حقيقتها تعكس وجهًا من وجوه الإعجاز –من حيث كونها أَبْعَاض القرآن–يندرج في نطاق إعجاز الإيجاز، من حيث قيام الآية الواحدة مقام الآيات المتعدّدة لتعدّد قراءات لفظة فيها، بما يكشف عن تكاملٍ عجيب تظهر فيه الكثير من الظواهر البيانيّة، وتُبَيِّنُ مستوياتٍ عديدةً لثراء المعنويّ، الّذي ينتج عن اختلاف القراءات.

ومن هاته المعطيات، جاء بحثنا موسومًا بـــ: " تجلّيات الإعجاز البيانيّ في تعدّد القراءات القرآنيّة –نماذج مختارة–".

وانطلق البحث من تساؤل رئيس مفاده: إذا كانت القراءات القرآنيّة قائمة على التعدّد المفضي إلى الاختلاف والتباين، فما حظُّها من الإعجاز البيانيّ؟

وتفرّعت عنه تساؤلات فرعيّة منها:

- ما الفرق بين القرآن والقراءات القرآنيّة؟
- ماهي أبرز وجوه الاختلاف بين القراءات القرآنيّة؟
- ماهي أهم أوجه الإعجاز في القرآن الكريم؟
- ما تأثير التّوجيه البيانيّ في تحقيق الانسجام بين القراءات ودرءِ التعارض عنها؟

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يسعى إلى استجلاء أوجه الإعجاز البيانيّ الكامنة في تعدّد القراءات القرآنيّة؛ ذلك أن ظاهر القراءات القرآنيّة يُوهم بالتعدّد المفضي إلى الاختلاف والتعارض أحيانًا، ولكن الباطن يكشف عن صور من الإعجاز لا يُدركها إلّا أهل العلم الّذين اصطفاهم الله لحفظ كتابه في صدورهم، والرّد على الطاعنين فيه، تفسيرًا، وقراءةً، وتدّبُرًا.

ولعلّ أهمية الموضوع كانت السبب الرئيس في اختياره للدّراسة، تُضاف إليه أسباب أخرى منها:

- الرغبة في بحث موضوع شديد الصلة بالقرآن الكريم؛ ممّا يُنال به ثواب الدنيا والآخرة.
- التّوسع في علوم عديدة، تُعزّز معارفنا العلميّة والدّينيّة، وذلك ما تُتيحه القراءات القرآنيّة التي لها علاقة بعلوم لغويّة وبلاغيّة وشرعيّة.
- الاطّلاع على جهود علماء الأمة –قدامى ومحدثين–في دفع التعارض والتناقض عن القراءات القرآنيّة، واستثمارها في التّوجيه البيانيّ، وما يُتيحه من أوجه إعجاز متعلقة به، لاسّيما في الجانب الفقهيّ.

ويهدف بحثنا إلى:

- ✓ إبراز أثر القراءات القرآنيّة في اختلاف المعنى وتعدّده.
- ✓ تتبّع الأحكام العقديّة والفقهيّة المترتبة عن تعدّد القراءات.

- ✓ تسليط الضوء على أوجه الإعجاز الكامنة في تعدّد القراءات.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن نعتمد على المنهج الوصفيّ، مع الاستعانة بآليات والمقارنة والتعليل.

ومن أجل الإجابة عن التساؤلات المطروحة سابقًا، وتحقيق الأهداف المرجوة، جاء بحثنا وفق الهيكل التّنظيميّ الآتي: مقدّمة، وفصلان، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وأمّا المقدّمة ففيها طرح الإشكاليّة، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والمنهج المتّبع، بالإضافة إلى إيراد بعض المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها، والصعوبات التي صادفتنا.

وأمّا الفصل الأوّل فمعنون بـ" الإعجاز في ضوء القرآن والقراءات القرآنيّة " فيضم ثلاثة مباحث: الأوّل عن "القرآن الكريم والقراءات القرآنيّة"، وتناولنا فيه مفهوم القرآن الكريم والقراءات القرآنيّة والفرق بينهما.

وأمّا المبحث الثّانيّ فموسوم بـ" تأصيل القراءات القرآنيّة وأوجه تعدّدها " فعرضنا فيه لنشأة القراءات القرآنيّة، وكذا علاقتها باللّهجات، إضافة إلى أوجه الاختلاف في القراءات القرآنيّة.

وأمّا المبحث الثالث فمعنون بـ "أوجه الإعجاز القرآنيّ"، وأوردنا فيه مفهوم الإعجاز من النّاحية اللّغويّة والاصطلاحيّة، وأوجه الإعجاز القرآني.

وأمّا الفصل الثّانيّ فتطبيقيّ، وعنوناه "من وجوه الإعجاز البيانيّ في القراءات القرآنيّة"، وجاء في ثلاثة مباحث: المبحث الأوّل خصّصناه لدراسة الإعجاز البيانيّ في المستوى الصّوتيّ، والمبحث الثّانيّ دراسة الإعجاز البيانيّ في المستوى الصّرفيّ، والمبحث الثالث لدراسة الإعجاز البياني في المستوى التّركيبيّ.

وأمّا الخاتمة فقد جعلناها حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها في هاته الدراسة.

ومن أجل إنجاز هذا البحث والإجابة عن إشكاليته بطريقة منهجيّة، والإلمام بجوانب الموضوع اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع التي تنوعت بين التراثيّة والحديثة منها: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ومختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ومعجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب، واللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة لعبده الراجحي، الإعجاز البيانيّ في ضوء القراءات القرآنيّة أحمد محمّد الخرّاط.

وكغيره من البحوث فقد واجهتنا صعوبات في طليعتها سعة الموضوع وصعوبة التفصيل والتدقيق في كلّ عنصر، وقُدسيّة القرآن الكريم تستلزم على الباحث التركيز والدّقة في النقل.

وفي الختام نحمد الله، ونشكره لأن بفضله تتم الصالحات، ونتقدّم بجزيل الشكر والتّقدير والاحترام لأستاذتنا الفاضلة "نبيلة قريني" التي تكرمت علينا بإشرافها، وتوجيهاتها المستمرة أثناء إعدادنا لهذا البحث.

الفصل الأوّل

الإعجاز في ضوء القرآن والقراءات القرآنيّة

أولاً: القرآن الكريم والقراءات القرآنيّة

1- تعريف القرآن:

تغلب صفة التحرّج في تعامل العلماء مع النّص القرآنيّ تعريفًا وتأويلاً، لما يتميز به (القرآن) من قدسيّة، وما يترتب على القول فيه بغير علم من وعيد، وقد يأخذنا هذا إلى تعريف القرآن بقولنا: القرآن هو القرآن! والوقوف عند هذا الحدّ.

ومع ذلك فقد اجتهد علماء الأمة في محاولة تقييد القرآن بتعريف وافٍ، لغة من حيث الاشتقاق وأصل وضعه واصطلاحًا من وجهات نظر مختلفة: أصوليّة وكلاميّة وغيرها، على ما يأتي بنائه:

أ- وضعًا:

يذهب أكثر العلماء – متقدميهم ومتأخريهم- إلى أنَّ القرآن مصدر مشتق من الفعل "قَرَأَ "، وهو مصدر مرادف لِلقِرَاءَةِ عَلى وَزْنِ فُعْلاَن بِضمّ الفَاءِ، وتتفق معاجم عديدة على أنّه مُشْتَقّ مِنَ الفِعْلِ (قَرَأَ)، يُقَالُ: قَرَأَ، يُقْرَؤُ، قَرْءًا، وقِرَاءَةً وَقُرْآنًا، وقَرَأْتُ الشَيْء قُرْآنًا، جَمَعْتَهُ وَضَمَمْتُ بَعْضَه إِلى بَعْضٍ، وَقَرَأْتُ الكِتَابَ قِرَاءَة وقُرْآنًا، وَمِنْهُ سُمِّيَ القُرآنُ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: سُمّيَ القُرْآنُ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّورَ فَيَضُّمهَا، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[سورة القيامة 17- 18]، أَيْ جَمْعه وَقِراءَته. وَقِيلَ لِجَمْعِهِ مَا فِيهِ مِنَ الأَحْكَامِ وَالقِصَصِ وَغَيْر ذَلِك. [1]

---

[1]- الجوهريّ، معجم الصّحاح، تح: محمّد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2009، ص 924 -925، مادة (ق ر أ).

وابن فارس، مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان (د. ط)، 1979، 5/ 78، مادة (ق ر ى).

والزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 2/ 63، مادة (ق ر أ).

وابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1119، ص 3563، مادة (ق ر أ).

يتضح لنا من خلال هذه التعريفات اللّغويّة أن مدار الجذر اللّغويّ (قرأ) ينتهي إلى معنى الجمع والضم.

ب- اصطلاحًا:

يتفق علماء الأمة على أن القرآن هو كلام الله المنزل على نبيّه محمّد عليه الصّلاة والسّلام. وهو معجزته التي تحدى العرب على أن يأتوا ولو بآية من مثلها. غير أنّ ثمة تفاوتًا بينهم في ضبط تعريفه بتقييده ببعض الأوصاف والشروط، ممّا قد يُوهم بتباين تعريفاتهم للنّصّ القرآنيّ. ومن هاته التعريفات نورد:

عرّفه الغزالي (505هـ) بقوله: "وحدُّ الكتاب ما نُقِلَ إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلًا متواترًا". [1]

يتضح لنا من خلال تعريف الغزالي هذا أنّه قيّد القرآن الكريم بشرطي الأحرف السبعة والتّواتر، وشرط التّواتر أن يبلغ عدد النقلة حدًّا لا يجوز فيه على مثلهم الاتفاق على الكذب، وهذا الشرط يثير تساؤلًا مشروعًا عمّا نُقِل بغير التّواتر، كنقل الآحاد، هل هو من القرآن أم ليس منه.

وعرّفه ابن السبكي (771 هـ) بقوله: "هو اللّفظ المنزل على محمّد صلّى الله عليه وسلّم للإعجاز بسورة منه، المتعبد بتلاوته". [2]

في هذا التعريف ذكر ابن السبكي أنّ الإعجاز يحصل بسورة واحدة من القرآن الكريم فإنّ التحدي المثبت في القرآن محصور بثلاثة أنواع: الإتيان بمثله، والتحدي بعشر سور من مثله والتحدي بسورة من مثله.

[1]- الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: ناجي السويد، (د. م)، (د. ب)، (د.ط)، (د.ت)، 141/1.

[2]- ابن السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، تح: عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص 21.

وعرّفه أيضًا الشوكاني (1250هـ) يقوله: "وأمّا حدُّ الكتاب اصطلاحًا فهو الكلام المنزل على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا متواترًا". [1]

يتفق تعريف الشوكاني مع تعريف الغزالي في شرط التّواتر وهذا ما خالف به تعريف ابن السبكي الذي لم يتعرض له.

وبالرُّغم من التباين الملحوظ في ضبط مفهوم القرآن بين العلماء إلّا أنّهم يتفقون على أنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنزل على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السّلام، بأحرفه السبعة لفظًا ومعنى، المدوّن بين دفتي المصحف، المنقول إلينا بالتّواتر، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة النَّاس، بلسان عربيّ مبين.

2- تعريف القراءات القرآنيّة

أ- وضعًا:

القراءات القرآنيّة لفظ مركب تركيبيًا وصفيًّا من القراءات جمعًا للفظ القراءة، والقرآنيّة منسوبة إلى القرآن بإضافة ياء النسبة المشدّدة وتاء التأنيث.

فأمّا القراءة فهي مصدر الفعل (قرأ)، وهو في الأشهر يدلّ على معنى مشترك هو الجمع والاجتماع.

ولقد سبق أن تّطرقنا إلى مفهوم الجذر اللّغويّ للفعل (ق ر أ) في تعريفنا للقرآن الكريم وضعًا.

وقد قال الراغب (502 هـ): "والقِرَاءَةُ ضَمُّ الحُرُوفِ وَالكَلِمَاتِ بَعْضُهَا إلى بَعْض فِي التَّرْتيل، وَلَيْسَ يُقَالُ ذَلِكَ لِكُلِّ جمع. لا يُقَالُ: قَرأت القوم: إِذَا جمعتهم، ويدلّ على ذلك لا يقال للحرف الواحد إذا تُفُوّه به قراءة". [2]

---

[1]- الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أبي حفص سامي بن العربي الأشري، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01، 2000، 169/1.

[2] - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.م)، (د. ب) (د.ط)، (د.ت)، 520/1.

ب – اصطلاحًا:

أورد علماء القراءات جملة من التعريفات في حدّ القراءات القرآنيّة، ولعلّ أقدم تعريف لها كان تعرف أبي حيان الأندلسي (745هـ) إذ عرّفها في طي تعريفه للتفسير؛ حيث قال: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفراديّة والتركّيبيّة ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات لذلك" [1] –ثم قال رحمه الله –"و قولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات.

وقد جاء هذا التعريف عرضًا، وليس غرضًا وقصدًا؛ ذلك أنّه أقرب إلى موضوع التجويد منه إلى تعريف القراءات، ولذلك لا يمكن أن ينظر إليه كحدٍّ يطلب فيه كونه جامعًا مانعًا.

وعرّفها الزركشي (794هـ) بقوله: "القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما " [2]

والملاحظ على تعريف الزركشي أنّه خصّص القراءات بمواضع الاختلاف، ولم يُشر إلى مواضع الاتفاق فيها، وهذا يعني أن مواضع الاتفاق ليست قراءات وإنّما هي قرآن، ومواضع الاختلاف منها ما يصّح كونه قرآنًا ومنها ما لا يصح. كما لم يشر بوضوح في تعريفه هذا إلى النقل والرواية التي هي أصلٌ في القراءات.

كما عرّفها ابن الجزري (833هـ) بقوله: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًا لناقله" [3]

ويلاحظ من تعريف ابن الجزري أنّه ركز على مسألة مهمة ألا وهي اعتماد القراءات على السّماع والمشافهة والتلقي عمّن تلقاها، وسمعها وأخذها مشافهة عن شيوخه، مسلسلًا إلى النّبيّ صلّى

[1]– أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، 121/1.

[2]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1988، 395/1–396.

[3]– ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (د. تح)، مكتبة القدسيّة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1350هـ ، ص 03.

الله عليه وسلّم، وأورد ذلك حينما تابع كلامه معرّفًا المقرئ فقال: "والمقرئ العالم بها، رواها مشافهة؛ فلو حفظ التيسير مثلًا، ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافه من شوفه به مسلسلًا لأنّ في القراءات أشياء لا تحكم إلّا بالسّماع والمشافهة". [1]

وأمّا الزرقاني (1376هـ) فقد عرّفها بقوله: "مذهب يذهب إليه إمام من القرّاء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئتها".[2]

يتضح من تعريف الزرقاني هذا أنّه حصر القراءات في الاختلاف بين القرّاء، كما حصرها في الاختلاف في النطق بالحروف وهيئاتها، بينما الخلاف الواقع بين القراءات أعمّ من ذلك.

يظهر لنا من خلال عرض هذه التعريفات أنّها تتفق فيما بينها في أداء كلمات القرآن أو التلفظ بها أو نطقها.

ومن ذلك كانت القراءات مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنيّة وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا، مع عزو كلّ وجه لناقله .

وعليه، فتعريف القراءات له عناصر تحدّد المعرّف، وتتمثّل في:

* مواضع الاختلاف في القراءات.

* النقل الصحيح – العزو الناقل – سوآءا كان متواترًا أم آحادًا.

* حقيقة الاختلاف بين القراءات.

* ثبوت السّند إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

[1] – ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص03.

[2]– الزرقاني، مناهل الغرفان في علوم القرآن، تح: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط 01، 1995، 336/1.

3-الفرق بين القرآن الكريم والقراءات القرآنيّة:

يذكر الدّارسون أنَّ أول من فرّق بين القرآن والقراءات -فيما وصل إلينا من مؤلفات-هو الإمام بدر الدين الزركشي (794هـ) وذلك عند تعريفه للقراءات، وممّن تابع الزركشي على ذلك، الإمام السيوطي (911هـ) في الإتقان، والقسطلاني (923هـ) في كتابه لطائف الاشارات، والدمياطي البنا (1117هـ) في كتابه إتحاف فضلاء البشر، وغيرهم.

قال الزركشي: "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمّد صلّى الله عليه وسلّم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما ".[1]

غير أن هناك من المحدَثين من خالفهم في هذا القول أمثال محمّد سالم محيسن -رحمه الله -في كتابه (في رحاب القرآن)؛ حيث يرى أنّ القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، مستندًا في ذلك إلى أن القرآن مصدر مرادف للقراءة، والقراءات جمع قراءة فهما بمعنى واحد. كما استند أيضًا إلى الأحاديث النّبويّة التي أمر الله فيها رسوله صلّى الله عليه وسلّم أن يُقرى أمته القرآن على سبعة أحرف، وقد خلص محيسن في رأيه هذا إلى القول: "وكلّها تدلّ دلالة واضحة على أنّه لا فرق بين كلٍّ من القرآن والقراءات؛ إذ كل منهما الوحي المنزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم".[2]

وفي هذا الصدد قد عقب على هذا الرأي عدد من العلماء منهم "إسماعيل شعبان" على رأي محيسن بأنّه رأي مردود وغير مقبول، ولم يقل به أحد من العلماء السابقين، فلا يمكن أن يُقال: إن القرآن والقراءات حقيقتان متحدتان، للأسباب التالية:

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، 01/ 221.

[2]- صبري الأشوح، إعجاز القراءات القرآنيّة دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القرّاء، مكتبة وهيبة، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 14.

1-لأن القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كلّه، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط.

2-التعريف المتقدّم للقراءات -تعريف الزركشي-يشمل القراءات المتّواترة التي يصّح أن يقرأ بها القرآن، كما يشمل القراءات الشّاذة، والتي أجمع العلماء على أنّه لا يصّح قراءة القرآن بها، لأنّها لم تستجمع أركان القرآن الصحيحة وهي التّواتر، وموافقة الرّسم العثمانيّ، وموافقة وجه من وجوه اللّغة العربيّة.

كما انتهى "شعبان" إلى عرض رأيه فقال: "فالواقع إنّهما (القرآن والقراءات) ليسا متغايرين تغايرًا تامًا، كما أنّهما ليسا متحدين اتحادًا حقيقيًّا، بل بينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكلّ والله أعلم".[1]

كما تقول أماني بنت محمّد عاشور في كتابها الأصول النيرات في القراءات: "والواقع أننا إذا نظرنا إلى أنّ المراد بالقراءات تلاوة ألفاظ القرآن بها كأن تقول مثلًا: هذا يتلو القرآن بقراءة نافع، وذاك يتلوه بقراءة أبي عمرو، فلا شك أنّهما حقيقة واحدة لا يختلف فيها اثنان. وأمّا إذا أردنا بالقراءات (علم القراءات) فعلى هذا يكون القرآن وعلم القراءات غير متحدين اتحادًا حقيقيًّا، بل بينهما ارتباط وثيق؛ لأن موضوع علم القراءات هو الكلمات القرآنيّة من حيث البحث في أحوالها الأدائيّة".[2]

وتجدر الإشارة إلى أنّ الأستاذ فضل عباس حسن كانت له وقفة متأنيّة مع هذا الرأي -القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان-.

إذ يقول إن كان الزركشي رحمه الله قصد من قوله: إنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان. جميع القراءات الواردة، المتّواترة منها وغير المتواترة، الموافقة لخط المصحف والمخالفة له، فإن قوله

[1] - صبري الأشوح، إعجاز القراءات القرآنيّة دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القرّاء، ص 14.

[2] - أماني بنت محمد عاشور، الأصول النيرات في القراءات، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط 03، 2011، ص 50.

صحيح، وذلك أنّا لا نقول بقرآنيّة ما لم يثبت متواترًا من القراءات لأن القرآن لا يثبت إلّا بالتّواتر، أمّا القراءات الأخرى المنقولة بأخبار الآحاد فهي مغايرة للقرآن، لأنّا لا نقطع بكونها قرآنًا. [1]

أمّا إن عنى بقوله هذا القراءات المتّواترة، فقوله فيه نظر وذلك أنّ القراءات المتّواترة هي وحي منزل من عند الله تعالى، فَإِنَّ الوحي نزل بكلّ وجه من الأوجه المتّواترة التي يُقرأ عليها القرآن الكريم، فكما أنّ الوحي نزل بقراءة "نُنْشِزُهَا" وهي من القرآن دون شك، فقد نزل كذلك بقراءة "نُنْشِرُها" وهي من القرآن أيضًا، فكلّ قراءة من القراءات المتّواترة سَدّت مسد آية، والقرآن المقروء بأي قراءة من القراءات المتّواترة هو الوحي المنزل على محمّد صلّى الله عليه وسلّم للبيان والإعجاز.

وقد خلص الأستاذ فضل عباس حسن إلى أنّ القراءات القرآنيّة المتّواترة هي أبعاض القرآن وأجزاؤه، وبعض الشيء وجزؤه لا يُقال عنه هو غيره. فالقراءات القرآنيّة بمجموعها تمثّل الوحي المنزل على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم للبيان والإعجاز وكلّ قراءة متواترة تمثّل صورة صادقة وكاملة عن وجه من وجوه أداء هذا القرآن كاملًا، كما أنزل على سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم. [2]

وعليه، فالمسألة برمتها مبنية على ما إذا كان تعريف بدر الدّين الزركشي للقراءات شاملًا للقراءات الصحيحة والقراءات الشّاذة أم مقتصرًا على القراءات القرآنيّة المتّواترة دون غيرها.

[1] – فضل عباس حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، عمان، الأردن، ط02، 2010، 111/2.

[2]– مر.ن، 1/ 111.

ثانيًا: تأصيل القراءات القرآنيّة، وأوجه تعدّدها

1- القراءات القرآنيّة: نشأتها ومصدرها.

أ-نشأتها:

إنّ الحديث عن نشأة القراءات القرآنيّة هو حديث عن القرآن الكريم؛ ذلك أن الزمن الذي نزل فيه القرآن الكريم هو ذات الزمن الذي نشأت فيه القراءات القرآنيّة، فكما كان القرآن وحيًا من عند الله؛ فهي الأخرى لم تكن من اجتهاد أحد؛ بل هي وحي أوحاه الله تعالى إلى نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وقد نقلها عنه أصحابه الكرام رضي الله عنهم. [1]

وقد حظيت القراءات القرآنيّة بالعناية الخاصة الّتي حظي بها القرآن الكريم، فما القراءات القرآنيّة إلّا ذاك الوحي الّذي كان ينزل به جبريل عليه السّلام على قلب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم. وقد خُصّت في مرحلة متقدّمة بعلم خاص يُعرف بعلم القراءات عُني أربابه بضبطها متنًا وسندًا، وتحديد طبقات القرّاء، ومراتب القراءة وشروط الأخذ بها. وسنجمل فيما يأتي المراحل التي مرّ بها العلم الجليل على النّحو الآتي:

المرحلة الأولى: القرآن والقراءات في الزمن النّبوة

ويمكن إيجاز هذه المرحلة في النقاط الآتيّة:

1-تعليم جبريل عليه السّلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم القرآن والقراءات، عن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم قالت:" أسَرَّ إليَّ أنَّ جبريلَ كَان يُعَارِضُني القُرآن كُلَّ سَنةٍ مَرَّة، وإنّه عَارضَني العَامَ مَرَّتَيْنِ ...."[2]. وكان هدفها حفظ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما كان يلقاه من القرآن.

[1] -ينظر: محمد المتولي، الروض النضير في تحرير أوجه الكتاب المنير، تح: خالد حسن أبو الجود، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)،2000، ص 18.

[2] - صحيح البخاري، البخاري، (د. تح)، جمعية البشرى الخيريّة، كراتشي، باكستان، (د. ط)، 2016، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم 3624، ص1626.

2 - تعليم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الصحابة القرآن الكريم امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: 106]

3-تعليم بعض المسلمين بعض آي القرآن وسوره، وكان ذلك بأمر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإقراره.

4-ظهور طائفة من الصحابة يتدارسون كتاب الله عزّ وجل يُسمّون (بالقرّاء).

5-تصدي بعض الصحابة لحفظ القرآن عن ظهر قلب في زمن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم: أبو بكر الصديق (13هـ)، و أُبيّ بن كعب (20هـ)، وعبد الله بن مسعود (32هـ) وأبو الدرداء (32هـ)، وعثمان بن عفان (35هـ)، وعلي بن أبي طالب (40هـ)، وأبو موسى الأشعري (44هـ) وزيد بن ثابت(45هـ) رضي الله عنهم. قال الذهبي عنهم: "فهؤلاء الذين بلغنا أنّهم حَفِظُوا القرآن في حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأُخِذَ عنهم عرضًا وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة ". [1]

المرحلة الثّانيّة: القرآن والقراءات في زمن الصحابة والتابعين.

ويمكن حوصلة هذه المرحلة في النقاط الآتية:

1-تتلمذ جماعة من الصحابة والتّابعين على يدي جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، فقد قرأ كلّ من أبي هريرة وابن عبد الله بن السائب وابن عباس وعبد الله بن عياش وأبو العالية الرياحي على أُبيّ بن كعب.

2-بدأ أخذ بعض وجوه القراءة المختلفة، ونقلها بالرواية، أمّا عن مسألة اختلاف القراءات فقد بدأت تشيع في النصف الأوّل من القرن الأوّل.

3-تعيين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه مقرئًا خاصًا لكلّ مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف، وتوافق قراءته قراءة أهل المصر المرسل إليهم في الأكثر الغالب.

[1]- عثمان الذهبي، معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والاعصار، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، 1/42.

وقد كُتبت المصاحف على وفق العرضة الأخيرة، والمشهور أنّها المصاحف التي أرسلها الخليفة إلى الأمصار الخمسة. [1] وفي هذه المرحلة بدأ التمييز بين القراءات الصحيحة المعتبرة، والقراءات الأحاديّة والشّاذة وهذا التمييز أساسه التلقي وموافقة الرّسم العثمانيّ.

4-إقبال مجموعة من القوم من كلّ مصر على المصحف العثمانيّ لتلقي القراءة وفق ما تلقاه الصحابة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وذلك على النّحو التالي:

أ –في المدينة: معاذ بن الحارث (63هـ)، عروة بن الزبير (95هـ).

ب –في مكة: عُبيد بن عمير (74هـ)، مجاهد بن جبر (103هـ) وغيرهم.

ج –في الكوفة: عمرو بن شراحيل (بعد 60هـ) علقمة بن قيس (62هـ) وغيرهم.

د –في البصرة: عامر بن عبد قيس (ت حوالي 55هـ) الحسن البصري (ت 110 هـ) وغيرهم.

هـ–في الشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت نيف وسبعين هـ) وغيرهم. [2]

5-تفرّغ قوم للقراءة والأخذ فاشتدت عنايتهم بها حتّى صاروا أئمة يُقتدى بهم في القراءة وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي القراءة منهم بالقبول وكان هؤلاء الأئمة في ضروب متفرقة.

ويمكن تفصيل مراتب القرّاء منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلّم) على النّحو التالي :

أ–من الصحابة: أُبيّ بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، زيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري.

[1]- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 71/1.

[2] – ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: محمد على الضباع، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 9/1.

ب –القرّاء السّبعة[1]: وهم في خمسة أمصار:

1- **مكة:** عبد الله بن كثير(120هـ) وراوياه: أحمد البزي (150هـ)، ومحمد ابن قنبل (191هـ).

2- **المدينة:** نافع بن الأزرق (167هـ)، وراوياه ورش وقالون.

3- **الشام:** عبد الله بن عامر الدمشقي (118هـ)، وراوياه هشام السلمي (246هـ)، وعبد الله ذكران (242هـ).

4- **البصرة:** أبو عمرو بن العلاء (154هـ)، وراويه اليزيدي (202هـ) وعن اليزيدي أخذ: أبو عمرو الدوري (246هـ) وأبو شعيب السوسي (261هـ).

5- **الكوفة:** وحوت ثلاثة قراء وهم:

- عاصم بن أبي النّجود (129هـ) وراوياه حفص أبو عمر (180هـ)، وشعبة بن عياش (194هـ).
- حمزة بن حبيب الزيات (156هـ)، ورواياه: خلف البزار (229هـ)، وخلاّد بن خالد الصيرفي (220هـ).
- الكسائي (189هـ)، وراوياه: الليث بن خالد البغدادي (240هـ) وأبو عمر حفص الدوري (246هـ). [2]

---

[1]- وفي مقابل القراءات السبع هناك اصطلاح الأحرف السبعة، وقد قيل في مسألة الأحرف السّبعة أقوال كثيرة تزيد على الثلاثين مفصّلة في كتب القرآن وعلوم الحديث، وأرجح هذه الأقوال:

- الأحرف السّبعة: سبع لغات كلّها عربيّة في المعنى الواحد (اتفاق المعنى)
- الأحرف السّبعة: سبع لغات من لغات العرب نزل بها القرآن جميعاً وأكثره بلغة قريش (يضاف إليها القبائل الستة على الأرجح).
- القول الثالث للإمام البغوي، قال: " أظهر الأقاويل وأصحُّها وأشبهها لظاهر الحديث [المشهور] أن المراد من هذه الحروف اللّغات وهو أن يقرأ كلّ قوم من العرب بلغتهم وماجرت عليه عاداتهم من الإدغام والإمالة والتنغيم والإشمام وغير ذلك من وجوه اللّغات إلى سبعة أوجه منها الكلمة الواحدة.

[2]- ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1/ 9- 10.

ج –**القراء العشر**: فهم السّبعة يُضاف إليهم: أبو جعفر(130هـ)، ويعقوب (205هـ)، وخلف (229هـ).

د–أما أصحاب القراءات الموسومة بالشّاذة: فأربعة: [1]

الحسن البصري (111هـ)، وابن محيصن (123هـ)، الأعمش (148هـ)، اليزيدي يحي بن المبارك (204هـ).

والذي ينبغي التعويل عليه، والمصير إليه أن أئمة القرّاء هؤلاء لا يعملون في شيء في القراءة إلّا بالأثبت في الأثر، والأصح في السند؛ ذلك أن القراءات علم نقلي، لا دخل للعقل فيه. تلقّاه الصّحابة عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وتلقّاه عنهم التّابعون وتابعو التّابعين.

المرحلة الثالثة: بدء التأليف في القراءات والتدوين:

اختلف المؤرخون في أول من ألف في علم القراءات، فذهب الأكثر إلى أن الإمام أبا عبيدة القاسم بن سلّام (240هـ) أول من صنف فيها، واستسقاها في كتاب، ويُقال أنّه أحصى منها خمسًا وعشرين قراءة، مع السّبعة المشهورة ثمّ توالت بعد ذلك المؤلفات في علم القراءات منها: كتاب السّبعة في القراءات لابن مجاهد(324هـ)، وكتاب التيسير لأبي عمرو الدّاني (444هـ) ونظمه للإمام الشاطبي (590هـ)، وغيرها من المؤلفات التي اهتمت بعلم القراءات.

ب–شروط قبول القراءة:

إن للعلماء في قبول القراءة شروطًا ثلاثة وهي: [2]

1–**موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا**: ويُقصد به تلك الكلمات التي وقع رسمها في أحد المصاحف العثمانيّة برسم يحتمل قراءتها بوجه أبعد من وجه القراءة المتبادرة إلى الذهن، وتحتمله الكلمة المرسومة تقديرًا، وقد توافق بعض القراءات الرّسم تحقيقًا، ويوافقه بعضها تقديرًا.

[1] – ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص92 ،93، 94.

[2] – ينظر: مر.ن، 1/ 9-10.

2- **موافقة العربيّة ولو بوجه:** ويقصد العلماء بموافقة العربيّة: أن يكون النّصّ القرآنيّ المنقول على سنّن العرب في كلامهم، سواء أكان هذا الوجه فصيحًا أم هناك ما هو أفصح منه، المهم أن يكون في القراءة وجه في العربيّة، وهذا ما ذكره ابن الجزري: "وقولنا في الضابط ولو بوجه نريد به وجهًا من وجوه النّحو، سواء كان أفصح أم فصيحًا مجمعًا عليه، أم مختلفًا فيه، اختلافًا لا يضرُّ مثله إذا كانت القراءة ممّا شاع وذاع، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح ". [1]

3 - **ثبوتها بطريقة التّواتر واتصال السند:** أجمع العلماء على اشتراط صحة السّند لقبول القراءة، بل وللنظر في الشرطين الآخرين؛ إذ لا يعقل قبول قراءة ضعيفة السّند، لكن بعض العلماء أضاف إلى صحة السّند شرط التّواتر، والمراد بالتّواتر: سلامة الرواة من التجريح، وزيادة عددهم إلى الحدّ الذي ينتفى معه التواطؤ على الكذب؛ فقالوا لابد في التّواتر من نقل جمع كثير من النَّاس عن جمع كثير، بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب أو اجتماعهم عليه، وهذا ما أكده الدمياطي بقوله: "المراد بالمتّواتر ما رواه جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب من البداءة إلى المنتهى، من غير تعيين عدد على الصحيح، وقيل بالتعيين ستة، أو اثنا عشر، أو عشرون، أو أربعون، أو سبعون أقوال". [2]

فهذه هي شروط القراءة الصحيحة، فإذا تخلف منها شرط من هذه الشروط عُدّت شاذة، أو ضعيفة، واختلفت مراتبها بحسب ما هو متداول عند علماء القراءات.

ج-مراتب القراءات:

ولما كانت هذه شروط القراءة الصحيحة، فقد أفرد كثير من العلماء مبحثًا خاصًا بأقسام القراءات وأنواعها، منها ما نقله السيوطي (911هـ) عن ابن الجزري (832هـ)، حيث قال: "أتقن الإمام الجزري هذا الفصل نقدًا، وقد تحرَّر لي منه أنّ القراءات أنواع:

---

[1]- ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1/ 92، 93، 94.

[2]- محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: لمحمد إسماعيل شعبان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط01، 1987، 1/ 70-71.

الأوّل: المتواتر: وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب مثلهم إلى منتهاه، وغالب القرّاء على ذلك.

الثّانيّ: المشهور: وهو ما صّح سنده ولم يبلغ درجة التّواتر ووافق العربيّة والرّسم، واشتهر عند القرّاء، فلم يعدّ من الغلط ولا من الشّاذ، ويُقْرَأُ على ما ذكر ابن الجزري.

الثالث: الآحاد: وهو ما صّح سنده، وخالف الرّسم أو العربيّة أو لم يشتهر الإشهار المذكور، وهذا لا يُقْرَأُ به.

والرابع: الشّاذ: وهو مالم يصح سنده.

والخامس: الموضوع كقراءة الخزاعي. والسادس: ما يشبه أنواع الحديث المدرج، وهو ما زِيدَ في القراءات على وجه التفسير".[1]

2-القراءات القرآنيّة وعلاقتها باللّهجات:

أ -الواقع اللّغويّ في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام:

اتخذت اللّغة العربيّة شبه جزيرة العرب موطنًا أصيلًا لها منذ أقدم عصورها، وقد مرّت بمراحل من النّمو والتّطور استغرقت مسيرة قرون من الزمن حتّى استقرت فيما سبق ظهور الإسلام من العصر الجاهليّ على واقع لغويّ معروف وهو انقسامها إلى عدّة لهجات موزعة على ألسنة القبائل العربيّة التي انتشرت في نطاق شبه الجزيرة على اتساع رقعتها، وتباين تُخُومِها.

وكان لهذا الانتشار الواسع للقبائل العربيّة أثر واضح في عربيّة أهلها؛ إذ انقسمت -بتأثير عوامل عديدة-[2] إلى عدّة لهجات تتفاوت في مستويات الأداء اللّغويّ، لا سيّما الصّوتيّ منها؛ بحيث

[1] -السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات الإسلاميّة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، (د.ط)، (د.ت)، 2/502-506.

[2] - ينظر، عبده الراجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1996، ص 37 – 39.

كان لكلّ قبيلة عربيّة –تقريبًا– خاصيّة صوتيّة مميزة، تعدّ باصطلاح المحدثين بصمة لغوية يُنْسَبُ استنادًا إليها كلُّ عربيّ إلى قبيلته ومن هاته الظواهر نذكر منها: [1]

1– العجعجة: وهي إبدال الياء جيمًا، ولقد اشتهرت نسبة هذه الظاهرة إلى قضاعة، حيث يقولون " هذا راعج خرج معج"، أي "هذا راعي خرج معي".

2– الكشكشة: وهي زيادة الشين بعد كاف الخطاب في المؤنث، فيقولون: "رأيتكش وبكش وعليكش" ونسبت هذه الظاهرة إلى ربيعة ومضرّ.

3– التلتلة: وهي كسر أوائل الأفعال المضارعة فيقولون: تِعلمون، وتِصنعون، وعرفت هذه الظاهرة بتلتلة بهراء.

4– الكسكسة: يجعلون بعد الكاف أو مكانها في خطاب المذكر سينًا على ما تقدّم، وقصدوا بالفرق بين الحرفين: السين والشين الفرق بين المذكر والمؤنث في النطق وهي تنسب إلى ربيعة ومضرّ.

5– الشنشنة: يجعلون الكاف شينًا مطلقًا فيقولون في لبيك اللّهم لبيك، لبيش اللّهم لبيش. وهي في لغة اليمن.

6– العنعنة: يجعلون الهمزة المبدوء بها عينًا، فيقولون في إنك: عِنْكَ، وفي أسلم عَسْلَم، وفي إذن: عِذن.

مقابل هاته اللّغات امتازت لغة قريش بقوة فصاحتها وخلوها –على لفظ القدامى– من مستبشع اللّغات السالفة الذّكر ومستقبحها، وأصبحت بمرور الزمن اللّغة النموذجيّة الّتي يستعملها العرب والأعراب إذا ما جاوزوا نطاق القبيلة ليتسنى لهم التّواصل فيما بينهم، وظل هذا الواقع اللّغويّ سائدًا منذ العصر الجاهليّ حتّى نزول القرآن الكريم؛ يقول ابن فارس: "أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم، ومحالهم: أن قريشًا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة ".[2]

[1]– مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب دار العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2000، 1 /113 – 114.

[2]– ابن فارس الصاحبي، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 33.

ب – نزول القرآن واحتواؤه التباين اللّغويّ في ضوء القراءات القرآنيّة:

شرّف الله تعالى أمة العرب عمومًا، وقريشًا بخاصة بأن اصطفى منهم نبّي الرّحمة وآخر المرسلين محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وأتمّ تشريفهم بتشريف لغتهم التي نزل بها الوحي "قرآنًا عربيًا" يُتلى آناء اللّيل وأطراف النّهار. والراجح أنّ القرآن أنزل أول ما أنزل بلغة قريش، وهي على ما مرّ بنا أفصح لغات العرب وأكثرها انتشارًا .

ومع اعتناق العرب والأعراب الإسلام، وشروعهم في أداء النّصّ القرآنيّ، استجدت مشكلة التباين اللّغويّ بين القبائل العربيّة؛ لاسّيما عند طائفة مخصوصة منهم كالنساء والرجال الّذين لا يجاوزون نطاق قبائلهم، فكان يصعب عليهم الانتقال من لغتهم إلى لغة قريش في أداء النّصّ القرآنيّ، وجاء التيسير من الله بأن أمر نبيّه لأن يُقرئ أمته على ما جرت عليه عاداتهم اللّغويّة، فظهرت بذلك القراءات القرآنيّة، يقول ابن الجزري (832هـ): " كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، يعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتّعليم والعلاج ولاسّيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابًا، كما أشار إليه صلّى الله عليه وسلّم". [1]

وقد تنبه ابن قتيبة (276 هـ) على اختلاف لهجات العرب، وأثرها في اختلاف قراءاتهم فقال: "ولو أنّ كلّ فريق من هؤلاء أُمِرَ أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلًا وناشئًا وكهلًا، لاشتد ذلك عليه وعَظَمَت المحنة فيه ولم يمكنه إلّا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل اللّسان وقطع للعادة ". [2]

كما ذكر ابن قتيبة: "أنّه كان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيّه صلّى الله عليه وسلّم بأن يُقرِئ كلّ أمة بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم: فالهذلي يقرأ "عتى حين " يريد " حتى حين " لأنّه هكذا

[1]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 22/1.

[2]- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط02، 1973، ص 39.

يلفظ بها ويستعملها والأسدي يقرأ: "تِعْلمون وتِعلم وتِسْود وجوه" بكسر أوائل حروف المضارعة، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز والآخر يقرأ "وإذْ قِيلَ لَهُمْ" "وَغِيْضَ الماء" بإشمام الضم مع الكسر" [1]

ويُرجح عبده الراجحي أن يكون ظهور العسر بين المسلمين في أداء النّصّ القرآنيّ قد وقع بعد الهجرة، ومعنى ذلك "أن المشكلة لم توجد حيث كان الرّسول في مكة، وحيث كان عدد المسلمين قليلًا، وحين كان معظمهم من قريش يتحدثون بلهجة واحدة، أمّا وقد انتقل الرّسول إلى المدينة، ودخل ناس كثيرون في الإسّلام، من قبائل مختلفة، بلهجات متباينة، ومنهم الطفل الذي لم يستقم لسانه، والخادم الذي يجهل، والشيخ والمرأة العجوز، هنا وُجدت المشكلة، فاختلف النَّاس في القراءة وتسمح الإسلام معهم فأقرأهم الرّسول على اختلافهم". [2] ومن ثمة ظهرت القراءات القرآنيّة.

وإذا ثبت أن القراءات جاءت وفق اللّهجات العربيّة، فليس معنى هذا أنّها كانت بعدد هذه اللّهجات، وإنَّما بما ثبت أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قرأ بها، وتلقاها عنه الصحابة، وتابعوهم، ومن تلا هؤلاء، ذلك أنَّ القراءة سنة واجبة الاتباع لاجتهاد ولا دخل للعقل فيها.

ج –نماذج من القراءات القرآنيّة التي جاءت وفق اللّهجات العربيّة:

شكلت القراءات القرآنيّة نموذجًا رائعًا لكثير من الظواهر اللّهجيّة العربيّة، وحفظت عديد الظواهر الصّوتيّة والنّحويّة التي شاعت بين القبائل العربيّة، حيّة تتداول بين القرّاء، ونورد منها:

* ظاهرة الفحفحة نحو قراءة قوله تعالى من سورة يوسف: "عتى عين" [يوسف/35]، وهي إبدال الحاء عينًا، وهي ظاهرة لغويّة شاعت في قبيلة هُذيل، وقرأ بهذه القراءة ابن مسعود. [3]

* ظاهرة الاستنطاء نحو قراءة قوله تعالى من سورة الكوثر: "إن أنطيناك الكوثر" [سورة الكوثر/01][4] ، وهو إبدال العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء، ونُسبت هذه اللهجة إلى هُذيل والأسد وقيس والأنصار.

---

[1] – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص31.

[2] – عبده الراجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، ص 69.

[3] – ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 68.

[4] – مر.ن ، ص.182.

* و قراءة قوله تعالى: "وهذه الشيرة" من سورة [البقرة 35]، ففيها إبدال الجيم ياء، وهذه ظاهرة لغويّة شاعت في قبيلة أبي سليم، وقرأ بها أبو زيد. [1]

* إلزام المثنى الألف والنون في جميع الحالات الإعرابيّة رفعًا ونصبًا وجرًا، نحو قراءة قوله تعالى:(إنْ هَذَان لساحران) [طه / 63].

فقد جاءت بحسب لهجة بن الحارث بن كعب التي يُلزم أهلها الألف والنون في جميع الحالات الإعرابيّة نصبًا ورفعًا وجرًا، ومن ثمة يخرج "هذان " على أنّه اسم " إنّ" منصوب بالألف والنون نيابة عن الياء، والنون جاء على لغة بني الحارث بن كعب.

* كسر أوائل حروف المضارعة نحو قراءة جناح بن حبيش المقرئ قوله تعالى: "نِستعين" [الفاتحة /04]، [2] وهي في لغة أسد.

وبذلك كانت القراءات القرآنيّة مصدرًا أصيلًا لدراسة اللّهجات العربيّة، إذ يقول عبده الراجحي: "أنّها المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللّغويّ الّذي كان سائدًا في شبه الجزيرة قبل الإسلام، ويعتبر الدّارسون القراءات أصل المصادر جميعًا في معرفة اللّهجات العربيّة؛ لأنّ منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كلّ الطرق التي نُقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر، بل يختلف عن طرق نقل الحديث". [3]

فالقراءات إذن أوثق المصادر اللّغويّة لدّراسة اللّهجات وهذا راجع إلى منهج نقلها القائم على التلقي والعرض، وبالتالي يتضح أن صلة العلاقة بين القراءات واللّهجات صلة وثيقة ومردها إلى العلاقة السببيّة؛ لأن اللّهجات العربيّة كانت سبب في نشأة القراءات القرآنيّة.

[1] –ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص12.

[2]– مر.ن، ص 92.

[3]– عبده الراجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، ص 83–84.

3- أوجه الاختلاف في القراءات القرآنيّة:

لعلّ أول ما يجول في أفهامنا عادة عند سماعنا لكلمة "اختلاف" هو وجود معينين متضادين أحدهما يقابل الآخر، لكن عند النظر في القرآن الكريم نجد أن الله هو سبحانه يطرح على المعرضين عن القرآن والمنكرين له سؤالًا استفهاميًا، حيث قال: ﴿**اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ اَلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اِخْتِلَٰفا كَثِيرا**﴾ [سورة النساء / 82]، وهو استفهام بمعنى الإنكار عليهم، وحثهم على تدَّبر آياته في القرآن الكريم .

والحقيقة أن اختلاف القراءات القرآنيّة ينقسم إلى قسمين:

الأوّل: اختلاف تضاد.

الثّانيّ: اختلاف تغاير وتنوع.

فاختلاف التَضادّ لا يجوز، وهو منفي في القرآن ولم يقع فيه. [1] وأمَّا اختلاف التغاير والتّنوع فهو جائز، فهو المقصود به عند ذكر الاختلاف في القراءات ويقع بين القراءات والتفسير وغيره.

وعليه، فإنّ اختلاف القراءات يُعدُّ اختلاف تغاير وتنوع لا اختلاف تناقض وتضادّ. قال ابن الجزري (832هـ): "وأمَّا حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وفائدته، فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى ". [2]وقد حصر الجزري أوجه الاختلاف في ثلاثة وهي: [3]

أحدها: اختلاف اللّفظ والمعنى واحد، وقد مثّل له بالاختلاف في "الصّراط" في قوله تعالى:﴿ اُهْدِنَا اَلصِّرَٰطَ اَلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة \ 06] فقد قُرئت لفظة "الصراط" بـ "الزراط" وفي قراءة ثانية "السراط"

[1] – ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 40.

[2] – ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1 / 49.

[3] – مر.ن، 49/1.

الثّانيّ: اختلافهما جميعًا، مع جواز اجتماعهما في شيء واحد. وقد مثّل له نحو "مالك" و"ملك" في سورة الفاتحة، لأن المراد في القراءتيّن هو الله تعالى لأنّهُ مالك يوم الدّين وملكه.

الثالث: اختلافهما جميعًا، مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضادّ، ومثّل له بقراءة قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [سورة إبراهيم/ 46] بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى، وقد قُرِئَتْ قراءة ثانية بكسر اللام الأولى وفتح الثّانيّة "لِتَزُولَ".

وتيسيرًا للفهم مع ما يتناسب ومعطيات الدّراسات اللّغويّة ارتأينا تفصيل أوجه الاختلاف بين القراءات وفق المستويات اللّغويّة الثلاث:

- الصّوتيّة.
- الصّرفيّة.
- التّركيبيّة.

3-1 المستوى الصّوتيّ:

تؤدّي الأصوات دورًا هامًا في المنظومة اللّغويّة، لهذا تعدّ دراستها ومعرفة تأثير بعضها على بعض جوهر المستوى الصّوتيّ، وهذا الأخير يختص بتحليل أصغر وحدات التّركيب الكلاميّ، وهي الأصوات، كما يدرس تأثير بعضها في بعض، وبذلك تتعدّد مسائله وقضاياه ومنها: الفتح والإمالة، الإبدال وغيرها من المسائل.

أ-الفتح والإمالة:

الإمالة ظاهرة صوتيّة قديمة قِدم اللّغة العربيّة، وإليها مالت كثير من القبائل العربيّة، فالفتح والإمالة لغتان فصيحتان استعملتهما العرب في كلامها من نثر وشعر وبكلٍّ نزل القرآن الكريم.

والإمالة هي "أن تنحو بالألف نحو الياء " [1]؛ أي هي تقريب الفتحة نحو الكسرة دفعًا للتنافر الصّوتيّ من جهة وتسهيلًا على القارئ من جهة.

- **نماذج من الإمالة:**

قال تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاۖ﴾ [سورة البقرة الآية 10].

قرأ حمزة "فَزِادَهُمُ اللهُ مَرَضًا" بكسر الزاي. وكذلك شاء وجاء وطاب وخاف وضاق وضاقت، وفتح الزاي من ﴿زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [سورة الاحزاب/10].

وكسر الزاي من قوله ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ [سورة الصف/5] وفتح الزاي في ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۖ﴾ [الصف /5].

وكسر الراء من قوله تعالى: ﴿بَل رَّانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين /14] "بل رِان على قُلُوبِهِم"، وفتح الجيم من ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ [مريم /23] وكان ابن عامر يكسر من ذلك كله ثلاثة أحرف: (فزادهم، وشاء وجاء). [2]

ب– الإبدال:

من مظاهر التّغيير الصّوتيّ في اللّغة العربيّة إبدال حرف بحرف طلبًا للخفة في النطق، واقتصادًا للجهد العضليّ. "وليس المراد بالإبدال أنّ العرب تعتمد تعويض حرف من حرف، وإنَّما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللّفظتان في لغتين لمعنى واحد حتّى لا يختلفا إلَّا في حرف واحد".[3]

وقد عُرّف الإبدال بأنه تغير يحدث في حرف آخر غير أحرف العلة والهمزة، ويرى بعض علماء الصرف أن الإبدال تغيير يحدث في أي حرف؛ وعلى هذا الرأي يصدق الإبدال على مواضع الإعلال، ويكون الإبدال أعمّ من الإعلال فيتغير "قَوَلَ" إلى "قَالَ" ويسمّى إعلالًا أو إبدالًا. [4]

---

[1]– المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، مصر، ط2، (د.ت)، 45/3.

[2]– الفارسي، الحجة للقراء السبعة، (د.تح)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت)، 320/1.

[3] – السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، دار التراث، القاهرة، مصر، ط 03، (د.ت)، 460/1.

[4] – عبد العليم ابراهيم، تسير الإعلال والابدال، دار غريب، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 05.

***ضروب من التّغيير الصّوتيّ بالإبدال في القراءات القرآنيّة.**

– المثال الاول: إبدال الصاد سينًا:

نحو قراءة قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة/04] قرأها قنبل عن ابن كثير [1] ، مبدلًا الصاد سينًا : "السّراط". وقد قرأها أبي عمرو "الزّراط" بالزاي الخالصة. [2]

قال الأزهري (370هـ): "والسين والصاد يتعاقبان في كُل حرف فيه عين أو قاف أو طاء أو خاء. فالطاء مثل "بسطة" و"بصطة" ومثل "مسيطر" و "مصيطر"، والخاء مثل "سلخ" الجلد و"صلخه"، والقاف مثل الصقر والسقر". [3]

المثال الثّانيّ: إبدال الواو همزة

نحو قراءة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ [المرسلات/11]. قرأ أبو عمرو "وُقّتت" بواو. [4] وقرأ الباقون بالهمز.

فمن قرأ بالواو فهو الأصل، لأنّه مأخوذ من الوقت، ومن قرأ بالهمز فلأن كلّ واو ضُمّت ضمة لازمة يجوز إبدالها على الاطّراد همزة، استثقالًا للضمة عليها، نحو قولهم في: وجوه: أجوه، وصلى القوم أحدان أي: وحدانا جمع واحد. [5]

المثال الثّالث: إبدال الصاد ضاداً أو طاءً

نحو قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء/97].

---

[1] – الشاطبي، حرز الأماني ووجه التهاني، تح: محمّد تميم الزغبى، دار الغوثاني للدراسات القرآنيّة، المدينة المنورة، السعودية، ط05، 2010، ص09.

[2]– ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 49/1.

[3] –الأزهري، معاني القراءات، تح: عيد مصطفى درويش وآخرون، دار المعارف القاهرة، مصر، ط01،1991، 111/1.

[4] – الشاطبي، حرز الأماني ووجه التهاني، ص 88.

[5] – ينظر: سيبويه، الكتاب، تح: محمّد عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت)، 331/4.

قرأ الجمهور "حَصَبُ" بالحاء والصاد المهملتين المفتوحتين. وقرأها ابن عباس "حَضَبُ جَهَنَّمَ" بالضاد المفتوحة، وقرأها كثير عزة "حَضْبُ جَهَنَّمَ" ساكنة الضاد، و "حَطَبُ جَهَنَّمَ" بالطاء المهملة المفتوحة في قراءة علي بن أبي طالب وعائشة، وابن الزبير، وأُبيّ بن كعب وعكرمة. [1]

ج – الهمز والتسهيل:

الهمز هو إخراج الهمزة بكلّ صفاتها من مخرجها من أقصى الحلق حيث وقعت في الكلمة، مفردة كانت أمّ جاورتها همزة أخرى وأمَّا التسهيل فله عند القرّاء معنيان: [2]

الأوّل: مطلق التّغيير، فيشمل الحذف والإبدال والتسهيل بين بين.

والثّانيّ: هو تسهيل بين بين، ويُقصد به النطق بالهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركتها فينطق بالمفتوحة بينها وبين الألف وبالمكسورة بينها وبين الياء وبالمضمومة بينها وبين الواو. وهو بمثابة التخفيف.

* نماذج الهمز والتسهيل:

اختلف القرّاء في الهمز في قراءة قوله تعالى: ﴿**ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ [البقرة /2] حيث كان حمزة يستحب ترك الهمز في كلّ القرآن إذا أراد أن يقف، وروى ورش عن نافع ترك الهمز الساكن في مثل "يومنون" وما أشبهه، وكذلك المتحرك مثل ﴿**وَيُؤَخِّرَكُمُ**﴾ [إبراهيم/13] وما كان مثله، أمَّا أبو عمرو فكان إذا أدرج القراءة أو قرأ في الصّلاة لم يهمز كلّ همزة ساكنة مثل "يُؤْمِنُونَ وَيُؤْمِن وَيَأْخُذُونَ" وما أشبه ذلك. [3]

---

[1] – ينظر: ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، تح: علي ناصف النجدي، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت)، 67/2.

[2] – ينظر: عبد الفتاح القاضي، الوافي في الشاطبيّة في القراءات السبع، (د.تح)، مكتبة السوادي، جدة، السعودية، ط01، 1999، ص 84.

[3] – الفارسي، الحجة للقرّاء السّبعة، 214/1.

وكذلك اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿**سَالَ سَآئِلُ بِعَذَاب وَاقِع**﴾ [سورة المعارج /1] فقرأ نافع وابن عامر "سَالَ" غير مهموز. وقرأ الباقون "سَأل" مهموزًا. [1]

كما اختلفوا في قراءة قوله تعالى: ﴿**أُلذِّيبُ**﴾ [يوسف / 13]، حيث قرأ الكسائي وحده بغير همز "الذِّيبُ"، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة بالهمز "الذّئْبُ". [2]

وفي قراءة قوله تعالى: ﴿وَبِيرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ [الحج / 45]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي "وَبِئْرٌ" مهموزة، وقرأ نافع–في رواية ورش–وابن جماز ويعقوب وخارجة "وَبِيرٌ" بغير همز. [3]

د–التخفيف والتشديد:

تُعدّ ظاهرتا التّخفيف والتّشديد من أبرز الظواهر في القراءات القرآنيّة. والمعلوم أن هاتين الظاهرتين تتجلّيان في المدار الصّوتيّ لبنية الكلمة العربيّة باعتبارهما ظاهرتين شائعتين في اللّهجات العربيّة، وسنحاول فيما يلي ذكر بعضهما مع التمثيل.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِے ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة/44].

قرأ الجمهور "يُذَبّحُون" بالتشديد، وهي القراءة المجمع عليها عند الزّجاج، وهي عنده أبلغ من التخفيف، وهي الأرجح عند ابن عطية، والتشديد للتكثير والذبْحُ المتكرر.

وقرأ الزهري وابن محيص "يَذْبَحُونَ" خفيًا من ذبح المجرد، والتخفيف عند الزجاج شاذ. [4]

واختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّے مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[سورة يوسف / 110] .

---

[1]– الفارسي، الحجّة في علل القراءات السّبع، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط01، 2007، 4 / 465.

[2]– مر.ن، 3/ 289.

[3] – الفارسي، الحجّة في علل القراءات السّبع،17/4.

[4] – عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، ط01، 2002، 96/1.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو عامر "كُذِّبُوا" مشددة الذال، وقرأ عاصم وحمزة "كُذَبُوا" خفيفة كلّهم بضم الكاف.[1]

واختلفوا أيضًا في قراءة قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۖ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ۖ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ) [سورة البقرة / 185].

قرأ عاصم في رواية أبي بكر: "وَلِتُكْمِّلُوا" مشدّدة، وروى حفص عن عاصم "وَلِتُكْمِلُوا" مخففة، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي عن عاصم مخففة. [2]

وفي قوله تعالى: (حَتَّى يَطْهُرْنَ) [البقرة /222]. قرأ عاصم وحمزة والكسائي "يَطَّهَّرْنَ" بشديد الطاء والهاء، وقرأ الباقون "حَتَّى يَطهُرْنَ" مخففًا. [3]

3-2 المستوى الصّرفيّ:

نقصد بالفروق بين القراءات القرآنيّة في المستوى الصّرفيّ مجموع الفروق بين ألفاظ القراءات فيما يندرج ضمن مباحث الصّرف، ومنها: أوزان الأفعال، وتعدّد المشتقات بين المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، وكذا تنوع الأسماء من حيث العدد بين الإفراد والتثنية والجموع على أنواعها.

أ-التبادل بين اسم الفاعل واسم المفعول:

اختلف القرّاء بين اسم الفاعل واسم المفعول عند قراءة قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: 148].

[1]- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 351.

[2] - مر.ن، ص 177 - 176

[3] - ابن خالويه، الحجة في القراءات السّبع، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 03، 1979، ص 96.

قرأ ابن عامر قوله تعالى: "هُوَ مُولاها" بالألف بعد اللام وحجته –عند ابن خالويه– أنّه جعل "المولى" مفعولًا به، وأمَّا من قرأ بياء بعد اللام فأراد أن المولي هنا هو الفاعل وهو مولي وجهه إليها. [1]

كما اختلفوا أيضًا في قراءة قوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوَّمِينَ﴾ [آل عمران: 125].

قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم لفظة "مُسَوِّمَين" بكسر الواو، وفتح الباقون [2] " مُسَوَّمِينَ."

ب– الاختلاف بين صيغتي " فَعِلٌ " و " فَاعِل "

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة: 04]، حيث قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بن حبيب "ملك"، وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب "مالك". [3]

كما اختلفوا أيضًا في قراءة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ [الشعراء: 56]، حيث قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بحذف الألف في "حَذِرُونَ"، وقرأ الباقون بالألف "حَاذِرُونَ". [4]

ج– بين "فَعَلٌ" و"فَعْل":

قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]. اختلف القرّاء في قراءة لفظة "حُسِناً" فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر "حُسْنًا" بضم الحاء وإسكان السين، وقرأ حمزة والكسائي "حَسَنًا" بفتحهما.[5]

د– الاختلاف في الإفراد والجمع:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة البقرة: 81].

---

[1] – ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص90.

[2]– مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 03، 1984، 355/1.

[3]– ابن مجاهد، السبعة في القرارات، ص 104.

[4]- ينظر: مر.ن، ص 162.

[5] -مر.ن، ص.ن.

قرأ السّبعة عدا نافعًا "خَطِيَئتُه"، وقرأ نافع "خَطِيئَاتُه".[1]

واختلفوا أيضًا في قراءة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ [سورة البقرة: 164].

قرأ حمزة لفظة "الرِّيَحِ" مفردًا، وقرأ الباقون " الرِّيَاحِ" جمعًا [2] .

كما اختلفوا أيضاً في قراءة قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف/ 10].

قرأ نافع لفظة " غَيَابَتِ" بالجمع "غَيَابَاتِ"، وقرأ الباقون "غَيَابَةِ" مفرداً. [3]

هـ- الاختلاف بإبدال كلمة مكان كلمة:

كان القرّاء قد اختلفوا أيضًا في قراءاتهم بإبدال كلمة مكان أخرى في الآية الواحدة. ومن العلماء من عدّ ذلك من الشّواذ.

ومن أمثلة هذه القراءات ما يلي:

1- اختلف القرّاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [سورة الزلزلة: 04] في لفظة "تُحَدِّثُ" فقرأها سعيد بن جُبير "تُنْبئ أخبارها". [4]

2 - قرأ أُبّي بن كعب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (30) ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [سورة الفجر 30-31]، قرأ لفظة " ارجعي "بقوله "إيت". [5]

3- قرأ ابن الزبير قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ﴾ [سورة الشمس: 14] قرأ لفظة "فدمدم" مُبدلاً إيّاها بلفظة فدهرم. [6]

---

[1]- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 173.

[2] - ينظر، مر.ن، ص.ن.

[3]- ينظر: مر.ن ، ص 345 .

[4]- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص 177.

[5]- مر.ن، ص 174.

[6]- مر.ن، ص 174.

4- قرأ ابن مالك وابن مسعود مُبدلين كلمة "ووضعنا عنك" بقولهم "وحططنا وحللنا" من قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [سورة الشرح:02]. [1]

5- قرأ أيضاً ابن مسعود قوله تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:5] مُبدلًا العهن بلفظة الصوف[2]

هـ – الاختلاف في نوع الجمع:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: 34]. قرأ الجمهور "الصالحات قانتات حافظات" بالجمع جمع المؤنث السالم. و قرأ طلحة بن مصرف "الصوالح قوانت حوافظ" [3] بالجمع "جمع التكسير". وهي شاذة .

كما اختلفوا أيضًا في قراءة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اُسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيَٰٓئَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف/ 161]. قرأ الجمهور "خَطِيئَاتِكُمْ "بالجمع" "جمع المؤنث السالم". وقرأ الحسن "خَطَايَاكُمْ" [4] بالجمع "جمع التكسير" و هي شاذة.

و– الاختلاف في الاسم والفعل:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ [النساء: 90].

قرأ الحسن ويعقوب لفظة "حَصِرتْ" "حصرةً". [5] وقرأها الباقون "حَصِرَتْ" فقراءة الحسن ويعقوب بدلالة الاسم "حصرةً" وقراءة الباقون بدلالة الفعل "حصرت".

3-3 المستوى التركيبي:

[1]- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص 175.

[2] – مر.ن، ص 179.

[3] – مر.ن، ص32.

[4]– مر.ن ، ص 52.

[5] – مر.ن، ص34.

نقصد بالفروق بين القراءات في المستوى التّركيبي مجموع الفروق التي يمكن رصدها، على مستوى التركيب، من مثل: اختلاف الإعراب، والتّقديم والتّأخير، والذكر والحذف.

أ–الاختلاف من حيث التّقديم والتّأخير:

اختلف القرّاء عند قراءة قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَٰطِينَ ٱلإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً﴾ [الأنعام: 112]. قرأ الجمهور "شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنّ" بتقديم" الإنس"، وقرأ الأعمش "شَيَاطِينَ الْجِنّ وَالْإِنسِ" بتقديم لفظ "الْجِنّ" وتأخير " الْإِنسِ".[1]

واختلفوا في قراءة قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [سورة ق: 19]. قرأ الجمهور " وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ "، وقرأ أبو بكر، وأُبَيّ بن كعب وابن مسعود وطلحة، وسعيد بن جبير "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالمَوْتِ"، وهي شاذة. [2]

كما اختلفوا أيضاً في قراءة قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [سورة إبراهيم /24].

حيث قرأ الجمهور: "كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتُ"، وقرأ أنس بن مالك رضي الله عنه "كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتُ أَصْلُهَا" وهي شاذة. [3]

ب الاختلاف بالزيادة والنقصان

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَاتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلَ اَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [سورة الاعراف/81].

قرأ حفص عن عاصم، ونافع (إِنَّكُم) بالإخبار، وقرأ الباقون (أَإِنَّكُم) بالاستفهام. [4] بزيادة همزة الاستفهام .

---

[1] – عبد اللطيف، معجم القراءات، 528/2.

[2] –ابن خالويه، مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، ص 145.

[3]– مر.ن، ص 72.

[4]– ينظر: ابن مجاهد، السّبعة في القراءات، ص 286.

كما اختلفوا في قراءة قوله تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة / 100]. حيث قرأ ابن كثير (من تحتها) بزيادة (من) وقرأ الباقون دون (من). [1]

واختلفوا أيضاً في قراءة قوله تعالى: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المطْمَئِنَّةُ) [سورة الفجر/ 30]. قرأ الجمهور (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة)، وقرأ أُبَيّ بن كعب بزيادة كلمة (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الآمنة المطْمَئِنَّة) وهي شاذة. [2]

ج- الاختلاف من حيث الإعراب:

اختلف القرّاء في حركة الراء في لفظة " تُضَارَّ" في قراءة قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [سورة البقرة: 233]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالضم "تُضَارُّ"، وقرأ الباقون بالنصب "تُضَارَّ". [3]

واختلفوا أيضًا في قراءة قوله تعالى: (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ) [سورة البقرة: 37].

قرأ ابن كثير بنصب "آدَمَ" و رفع "كَلِمَاتُ"، وقرأ الباقون برفع "آدمُ" ونصب "كَلِمَاتُ". [4]

كما اختلفوا في قراءة قوله تعالى: (لَّيْسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ) [البقرة: 177]. قرأ حمزة وحفص بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع " الْبِرُّ ". [5]

وفي قراءة قوله تعالى أيضًا: (وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) (البقرة: 214)، قرأ نافع لفظة "يقولُ" بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب "يقولَ" [6]

---

[1] – ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 317 .

[2] – ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ص 174.

[3] – مر.ن، ص 183

[4] – ابن الجزري، النشر في القراءات، 211/2.

[5] – مر.ن، 226/2

[6]– مر.ن، 227/2

كما اختلفوا أيضاً في قراءة قوله تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا) [سورة النساء / 01] . قرأ الجمهور السّبعة ما عدا حمزة وأبا جعفر ويعقوب "وَالْأَرْحَامَ" بنصب الميم، وهو معطوف على اسم الله تعالى، والتقدير: اتقوا الله واتقوا الأرحام أن تقطعوها. وقرأ حمزة وإبراهيم النخمي وقتادة والمطوعي ومجاهد والحسن البصري وابن عباس "وَالأَرْحَامِ" بالخفض على أنّه معطوف على الهاء في «به» أو على أنه مجرور بباء مقدرة أو بالقسم. [1]

4- فوائد تعدد القراءات القرآنية:

إنّ لتعدّد القراءات القرآنيّة واختلافها فوائد جلّيلة وآثارًا بالغة في تفسير كتاب الله تعالى واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، ولكن من غير تناقض في المعاني أو تباين بينهما، فالاختلاف الحاصل بين القراءات اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، ويمكن إجمال فوائد هذا التعدّد والاختلاف في مايلي:

- ✓ التسهيل والتخفيف على الأمة ورفع الحرج عنهم، وهذه أجلُّ حِكَم إنزال القرآن على سبعة أحرف ولعلّها هي علة ذلك، وذلك ظاهر بجلاء من خوف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المشقة على أمته وشفقته عليهم حين أُمِر أن يقرأ القرآن على حرف، بل هو صريح كلامه صلّى الله عليه وسلّم إذ يقول حين أُمر بما ذكر (أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك)[2]
- ✓ إظهار نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كلّ قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللّفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كلّ لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. [3]

---

[1] عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 2/ 5-6

[2]- عبد الحليم بن محمّد الهادي قابة، القراءات القرآنية (تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها)، دار الغرب الإسلامي، (د.تح)، بيروت، لبنان، ط01، 1999، ص 67.

[3]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 52/1

- ✓ إنَّ في القراءات وتعدّدها تيسيرًا لحفظه ونقله على هذه الأمة، فإنّ من يحفظ آية واحدة في كلماتها أوجه متعدّدة يجد من اليُسر والسهولة ما لا يجده لو كان كلّ وجه في آية مستقلة. [1]
- ✓ إنَّ القراءات كانت سببًا كبيرًا ولا زالت لـ: إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلِغوا قصدهم في تتبّع معاني ذلك واستنباط الحِكم والأحكام من دلالة كلّ لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التّوجيه والتعليل، والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ) [آل عمران / 195]، والأجر على قدر المشقة.[2]
- ✓ فيها تمثّيل للّغات واللّهجات العربيّة المختلفة، وبذلك حفظت القراءات اللّغة العربيّة من الضياع والاندثار، فللقرآن والقراءات مِنةً على أهل العربيّة. [3]
- ✓ بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربَّهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وتحرير تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموده من خلّل التعريف، وحفظوه من الطغيان والتطفيف. [4]
- ✓ إنَّ تنوعها يفيد أهل العلم أثناء تفسيرهم لكتاب الله. [5]

[1] ـ محمد الهادي قابة، القراءات القرآنيّة، ص 69.

[2] – ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص 52

[3] – عبد القيوم السندي، صفحات في علوم القراءات، ص 140

[4] – مر.س، ص 53.

[5] – محمد الهادي قابة، القراءات القرآنية، ص 70.

- ✓ جمعت الأمة الإسلاميّة على لسان واحد يوحد بينها جميعاً، وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن.[1]
- ✓ ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز. [2]

[1] – محمّد الهادي قابة، القراءات القرآنيّة، ص69.

[2] – ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص 53.

ثالثاً: أوجه الإعجاز القرآنيّ:

1-مفهوم الإعجاز

جرت سنّة الله سبحانه وتعالى على إرسال رسله الكرام عليهم السّلام ليظهر على أيديهم معجزات خارقة للعادة ليست في متناول البشر، تأييدًا لهم في دعواهم «الرسالة السّماويّة»، فكانت معجزات الرسل السابقين أموراً حسّية يراهم من كان حاضراً في زمنها، فيتأثر بها ويعلمها من جاء بعدهم بطريق الخير، فلا يتأثر بها تأثر من رآها وشاهدها؛ لأن تلك الرسالات خاصة بمن أرسل إليهم محددة بوقت معين.

وأمَّا معجزة خاتم المرسلين سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم فقد شاءت إرادة الله أن تكون من نوع آخر، فأيده بالقرآن الكريم " المعجزة العقلية" كما صرح به القرآن نفسه: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلِ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت 50-51]

وقبل حديثا عن مكامن، هذه المعجزة كان لابد لنا من التّطرق إلى المفهوم اللّغويّ والاصطلاحيّ للإعجاز.

أ-وضعًا:

الإعجاز مصدر قياسي للفعل "أَعْجَزَ" على وزن "أَفْعَلَ"، وهو مزيد بالهمزة، ومجرّدة عجز.

جاء في مقاييس اللّغة: "العَيْنُ وَالْجِيمُ والزّايَ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ يَدُلُّ أحَدُهُمَا عَلى الضُعفَ وَالآخَرُ عَلى مُؤَخَّرِ الشَّيء. فَالأوّلَ عَجَزَ عَنْ الشَّيء يَعْجَزُ عَجْزًا فَهُوَ عَاجِزُ أي ضَعِيفُ وَقَوُلُهُمْ: إنَّ العَجْزَ نَقُيضَ الحَزمِ. فَمِن هَذا، لأنَّه يَضْعُف رَأيُه.

وَيَقُولُونَ "الَمرُء يَعْجَزُ لَا مَحَالة "وَيُقَالُ أَعْجَزَنِيَ فُلانٌ، إذَا عَجِزْتَ عَن طَلَبِه وَإدْراكَه.

وأمَّا الأصُلُ الآخَر فالَعَجُزْ مَؤَخَّر الشَّيء وَالجَمْعُ أَعْجَازٌ حتَّى إنَّهُمْ يَقُولوُن عَجُزْ الأمْرِ وَأعْجَاز الأمُور. [1]

فالإعجاز على هذا هو الفوت والسبق: بالنظر إلى حال المعجز، وهو الضعف بالنظر إلى حال العاجز.

وقد يجمع بين أصلي معنى الإعجاز فيقال:

- العجز أصله التّأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره، وصار في التعارف اسمًا للقصور عن فعل الشَّيء، وهو ضد القدرة، جاء في الذكر الحكيم: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكوُنَ مِثْلَ هَذا الغَرابِ﴾ [المائدة: 31].
- وأعجزت فلان وعجّزه وعاجزته: جعلته عاجزًا، قال تعالى: ﴿وَاْعْلَمُوَاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾ [التوبة/02] وقوله تعالى: ﴿وَالذَّينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزينَ﴾ [الحج: 51].

وعجز فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم كأنَّه نسبه إلى العجز ويقال أعجزت فلانًا إذا ألفيته عاجزًا، والمعجزة: العجز والعجز: الضعف، تقول: عجزت عن كذا أعجز، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها، مفعلة من العجز: عدم القدرة.

وبهذا يتضح لنا أن مفهوم الإعجاز يدور على الضعف، والانقطاع، وعدم القدرة على تحصيل الشيء.[2]

والإعجاز: إفعال من العجز الذي هو زوال القدرة على الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير.

ب – اصطلاحًا:

عُرّفَ الإعجاز مطلقًا من غير ربطه بالقرآن الكريم أو بنبيّ من الأنبياء –عليهم السّلام– بتعريفات كثيرة، وكان السبق في ذلك لعلماء الكلام، فالإعجاز مبحث من مباحث العقيدة يتعلق بطرق إثبات النُّبوة. وقد رصدنا بعض التعريفات بين –القدماء والمحدثين– منها:

[1] – ابن فارس، مقاييس اللغة، 4 / 232 – 233، مادة (ع ج ز).

[2] –ابن منظور، لسان العرب، ص 2817، مادة (ع ج ز).

عَرَّفه السيوطي (911 هـ) بقوله: "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي السالم عن المعارضة". [1]

يتضح لنا من هذا التعريف أن السيوطي قد جعل المعجزة ذلك الشيء المخالف للمألوف والمعروف، وأيدها بشرط التحدي. وقد اشتهر هذا التعريف وذاع واعتمد عليه كثير من الباحثين.

وأمَّا الرافعي (1356هـ) فيرى أن: "الإعجاز شيئان أحدهما ضعف القدرة الإنسانيّة في محاولة المعجزة مزاولته، على شدّة الإنسان واتصال عنايته، وثانيهما استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه؛ فكأن العالم كلّه في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت". [2]

كما عرّفه، عبد الرحمن الميداني (1425هـ) بقوله: "أمر ممكن عقلًا ،خارق للعادة، يجريه الله على يد من أراد أن يؤيده، ليثبت بذلك صدق نبوّته، وصحة رسالته " [3]

وعَرّفه أيضًا محمّد علي الصابوني (1442هـ) بقوله: "إثبات عجز البشر –متفرقين ومجتمعين– عن الإتيان بمثله، وليس المقصود من (إعجاز القرآن) هو تعجيز البشر لذات التعجيز، أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدى كلّ عاقل إنَّما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق وأنَّ الرّسول الذي جاء به رسول صادق، وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام". [4]

فمن خلال هذه التعريفات يتضح لنا أن المفهوم الشامل للمعجزة بأنَّها أمر خارق للعادة، أتى بها نبي من الأنبياء في زمن من الأزمنة، تحدى بها من كانوا في زمانه ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثلها، ومثال ذلك معجزة القرآن لسيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم التي أظهرها الله على نبيّه، لإظهار صدق نبوته ليتحدّى بها العرب.

---

[1] –السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، إصدار وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية (د.ط)، (د.ت)، مج 4، ص3.

[2]– مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2003، ص 117.

[3]– عبد الرحمن حنبكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم دمشق، سوريا، ط02، 1979، ص 338.

[4] – محمّد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار إحسان، القاهرة، مصر، ط 03، (د.ت)، ص 93.

2-وجوه الإعجاز القرآنيّ:

لما ثبت كون القرآن معجزة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، التفت العلماء إلى الاهتمام بمسألة إعجازه، فوقفوا أمام كتاب الله يسبرون أغواره يبحثون عن السّر الذي أعجز العرب البلغاء عن معارضته، فبذلوا جهودًا عظيمة، وقدموا نظريات متعدّدة، وآراء مختلفة، فتشعبت اتجاهاتهم في وجوه إعجاز القرآن، وذلك لما خاض فيه النّاس مخاضًا كثيرًا بين محسنٍ ومسيء. [1]

وقد ذكر السيوطي (911 هـ) أن العلماء قد ذهبوا مذاهب مختلفة في إحصاء هذه الوجوه. قال ابن سراقة (410هـ): "اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوهًا كثيرة كلّها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءًا واحدًا من عُشُرِ مِعْشَارِه. فقال قوم: هو الإيجاز مع البلاغة. وقال آخرون: هو البيان والفصاحة. وقال آخرون هو الرّصف والنّظم. وقال آخرون هو كونه خارجًا عن جنس كلام العرب من النّظم والنّثر، والخُطَب والشّعر، مع كون حروفه في كلامهم، ومعانيه في خطابهم، وجنس آخر متميّز عن أجناس خطابهم، حتَّى إن من اقتصر على معانيه، وغيّر حروفه أذهب رونقه، ومن اقتصر على حروفه وغيّر معانيه أبطل فائدته، فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازته / وقال آخرون هو كون قارئه لا يَكِلُّ، وسَامِعه لا يمَلُّ، وإن تكررت عليه تلاوته وقال آخرون هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضيّة، وقال آخرون: هو ما فيه من علم الغيب، والحكم على الأمور بالقطع، وقال آخرون: هو كونه جامعًا لعلوم يطول شرحها، ويشق حصرها". [2]

غير أن الزركشي (794هـ) يرى " أنّ الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال، لا بكلّ واحد على انفراده، فإنّه جمع ذلك كلّه، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده على اشتماله على الجميع" [3] وعلى هذا يتبين لنا أن الإعجاز ومع اختلاف العلماء في أوجهه إلّا أنّه باب مفتوح لا حد له.

---

[1] – ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 5 / 1879.

[2] –مر.ن، 5/ 1891 – 1892

[3]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 391.

غير أن الإعجاز البياني كان من الأوجه التي اتفق العلماء على أنّه أساس وجوهر كلّ هذه الوجوه المتعدّدة.

2-1 الإعجاز البيانيّ

لم ينكر عالم من العلماء الذين يُعتدّ بكلامهم أن الإعجاز البيانيّ وجه من وجوه الإعجاز، بل الوجه الأهم، لأنّه عام في القرآن كلّه، وهو الوجه الوحيد عند من لا يرى تعدّد وجوه الإعجاز.

وقد اخُتلف في تسميته؛ فبعضهم يُطلق على هذا الوجه "الإعجاز البيانيّ" وبعضهم يسميه "الإعجاز البلاغيّ" وبعضهم يسميه "الإعجاز اللّغويّ" وكلّها مصطلحات ومسميات تُطلق على نفس المعنى.

ومن الأدلة التي جعلت العلماء يرون أنّه الوجه الأهم تلك الحروف المقطعة في أوائل السور؛ التي تشير إلى الكلمات التي تشكّل منها القرآن، فهي تنبيه على إعجاز نظم القرآن بوجه خاص، وليست تنبيهًا على أي وجه آخر.

وعلى الرُّغم من أن العلماء لم يختلفوا في كون الإعجاز البياني هو الوجه الأهم إلّا أنَّهم اختلفوا في تحديد المراد منه. ومن ذلك جاءت تساؤلاتهم كالآتي: [1]

* هل المقصود من الإعجاز البيانيّ فصاحة الألفاظ وخلوّها من الثقل ومخالفة القياس الصّرفيّ؟

* هل يتجلّى الإعجاز البيانيّ في الألفاظ والكلمات المفردة أم في المعاني؟

* هل القالب الشكليّ هو الذي يكمن خلفه الإعجاز البيانيّ؟ أو أن تلك الصورة التي تقوم على التشبيه والاستعارة هي المقصودة منه؟ أم إنّه يظهر في بديع نظمه وحسن تأليفه.

فكانت هذه السلسلة من التساؤلات محط اهتمام عدد من العلماء أمثال الجاحظ (255هـ)، والقاضي عبد الجبار (415هـ) وعبد القاهر الجرجاني (471 هـ)، وقد أبدى كلّ منهم رأيه على

[1]- ينظر: روضة عبد الكريم فرعون، إعجاز النظم القرآني في آيات التشريع النظرية والتطبيق، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في تفسير القرآن وعلومه، كليّة الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، 6 اوت 2002 ص 12.

حد. وقد اعترض كلّ واحد منهم على أن تكون هذه الوجوه سببًا في الإعجاز البيانيّ، وإنمَّا يمكن جعلها وجوها ثانويّة، غير رئيسية.

وأمَّا أن يكون الإعجاز البيانيّ ظاهرًا في الصور البيانيّة التي تؤثر في النفس بما فيها من استعارة وتشبيه فقد تباينت آرائهم فيها فمنهم من نفى ذلك نحو الخطابي (388هـ) وعبد القاهر الجرجاني (471 هـ) وقد اقتفى أثره عدد من المحدثين منهم الرافعي (1356 هـ) و عبد الله دراز. في حين أن سيد قطب يجعل التصوير الفنّي في القرآن الذي يقوم على التجسيم المحسوس والتخيل، من أبرز جوانب الإعجاز البيانيّ. [1]

إن هذا التضارب في الآراء يدلّ حقيقة على قيمة ووزن هذا الوجه من الإعجاز.

وعلى هذا إذا كانت فصاحة الألفاظ، والألفاظ المفردة والمعاني وحتى القالب الشكلي ليست المراد من الإعجاز البيانيّ، فلم يبقى إلاّ أمر واحد يعولّ عليه .... وآلا وهو النّظم.

وقد ذهب المحققون من العلماء إلى أن النّظم هو جوهر الإعجاز البيانيّ ولبه. وفي هذا يقول فضل عباس: "وإذا كان الإعجاز البيانيّ إنَّما يرجع في لبه وجوهره إلى النّظم، وإذا كان القرآن الكريم كتاب الإنسانيّة جميعها، عربها وعجمها منذ أنزله الله مادامت الحياة والأحياء، إذا كان كذلك فليس من المنطقيّ أن يكون النّظم خاصًا بالعرب وحدهم، وإنّما غلط من غلط من هذه القضية، لأنَّهم ظنوا أن الإعجاز البيانيّ، إنّما هو حديث عن الصور التي تمتع العواطف، وتلذها النفس، وترهف الحس الصورة التي تقوم على الاستعارة والكناية والتشبيه، وهذه تختلف عند كل قوم باختلاف بيئتهم. ولكن النّظم ليس كما حسبوه". [2]

والنّظم حسب عبد القاهر الجرجاني تعليق الكلام بعضه ببعض، وقال في موضع آخر: "اعلم أن ليس النّظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله،

[1] -ينظر روضة عبد الكريم فرعون إعجاز النظم القرآني في آيات التشريع النظرية والتطبيق، ص 14 - 15.

[2]- فضل حسن عباس، اعجاز القرآن، تح: عبد العزيز الخياط وآخرون، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط02، 1997، ص 154- 155.

وتعرف مناهجه التي نهُجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلّ بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئًا يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه...". [1]

ولعلّ أكثر الأسباب ملاءمة لجعل النّظم جوهر الإعجاز البيانيّ دون الصور البيانيّة؛ هو أن الصور البيانيّة تختلف من لغة إلى لغة، وبالتالي قد يسيء الأعجمي فهمها، ويستغلق عليه معناها، في حين نجد أن من أسرار النّظم يمكن أن يفهمه الأعجمي حين توضّح له، وذلك أن للنّظم جانبًا فكريًا يتمثّل في العلاقة بين المعاني والألفاظ وهذا أمر لا علاقة له بلغة معينة.

وعليه، فإن اتفاق العلماء كان على أن الإعجاز البيانيّ يظهر في نظم القرآن، وتبطل الوجوه الأخرى في جعلها جوهره.

وجدير بنا أن نذكر أنّه من الأمور التي أسهمت في جعل هذا الوجه من أهم وجوه الإعجاز، وأظهرها امتيازه بمظاهر متنوعة ومختلفة يمكن إجمالها في الوحدات المكوّنة للقرآن؛ والتي تتمثل في: الحرف، والكلمة، والجملة، والآية، والسورة.

أ- الحرف

يظهر الإعجاز البيانيّ فيه من جانبين:

الجانب الأول: يتعلق بالجرس الصّوتيّ للحرف، ويتمثّل في انسجام أصوات الحروف بعضها مع بعض، بحيث يتكون منها جرس صوتيّ خلاب، لبعدها في الثقل الذي ينشأ عن: ضمّ بعض الحروف إلى بعض، "وما كتبه الرافعي عن الموسيقى القرآنيّة التي نشأت عن توالي الحروف وانسجامها يُعتبر من غير شك ميزة وسبقًا وتفّردًا له في ميدان البلاغة القرآنيّة " [2]

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: أبو فهد محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 81.

[2] – فتحي عبد القادر، بلاغة القرآن في ادب الرافعي، دار المنار للنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص187

الجانب الثاني:[1] يتعلق بالمعنى الذي يؤديه الحرف، وقد تحدث فضل عباس عن رسالة الحروف في كتاب الله، وبيّن أن لكلّ حرف في القرآن موضعًا ووظيفة يؤديها، ولا يمكن استبداله بغيره، وأن ما ذهب إليه بعض العلماء من تناوب الحروف بعضها مكان بعض قضية غير مُسلّمة في كتاب الله؛ لأن كلّ حرف له مدلوله الخاص به، ويظهر هذا في استعمال الأحرف المختلفة في الأماكن المتشابهة فلو كانت الأحرف تتناوب بعضها مكان بعض لما كان لاختلافها في الأماكن المتشابهة معنى وقيمة، كما تظهر رسالة الحروف في كتاب في ذكر الحروف و حذفها في الآيات المتشابهة.

ب-الكلمة القرآنيّة

تُعدّ الكلمة القرآنيّة مظهرًا ثانيًا من مظاهر الإعجاز البيانيّ بعد الحرف، ويكمن ذلك في كون الكلمة في القرآن تقع موقعها اللائق بها، فلا يمكن استبدالها بكلمة أخرى، وإلّا أدى ذلك إلى اضطراب في الكلام. وإنّما كان ذلك كذلك؛ لأنَّ القرآن في أعلى طبقات البلاغة.

ثمّ إن الحديث عن اختيار الكلمة القرآنيّة لقي اهتمامًا كبيرًا من العلماء، وقد تجلّى ذلك في كلامهم -متقدمين ومتأخرين- أمثال الجاحظ (225 هـ) والباقلاني (304هـ) والرماني (385 هـ).

إن الكلمة القرآنيّة مزية لا تجدها في الكلمات التي يتكون منها كلام الناس وتعابيرهم مهما سَمَت في مدارج البلاغة والبيان .

فهي أولاً: تتناول من المعنى سطحه وأعماقه وسائر صوره وخصائصه، ولا تقف عند العموميّات التي تقف عند حدودها تعبيراتنا البشريّة التي تعاني من العجز الذي أوضحناه.

وهي ثانيًا: تمتاز عن سائر مرادفاتها اللّغويّة بتطابق أتمّ مع المعنى المراد، فمهما استبدلت بها غيرها، لم يسدّ مسدّها ولم يغنِ غناءها، ولم يؤدِ الصورة التي تؤديها؛ إنَّما يتجلّى الإعجاز في الكلمة القرآنيّة،

[1] – فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 181.

عندما تكون مستقرة في مكانها من الجملة القرآنيّة فلا ينطبق شيء ممّا سنقوله في هذا الصدد على الكلمات القرآنيّة إذا التقطتها خارج منازلها القرآنيّة كقواميس اللّغة أو كلام الناس مثلا. [1]

فكلمة " أغطش" مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: 29] مساوٍ من حيث الدلالة اللّغويّة لأظلم. ولكن "أغطش" تمتاز بدلالة أخرى من وراء حدود اللّغة يستقل بها الوزن وجرس الأحرف متآلفة مع بعضها. فالكلمة بهذه الدلالة تُعبر عن ظلامٍ انتشر فيه الصمت وعمّ فيه الركود وتجلّت في أنحائه مظاهر الوحشة. [2]

ج –الجملة القرآنيّة

كما كان الحرف والكلمة في كتاب الله يقعان الموقع الذي لا يصلح لهما غيره، ولا يصلح له غيرهما، فكذلك كان الشأن في الجملة القرآنيّة، تظهر فيها بلاغة القرآن وحسن بيانه.

والقرآن الكريم كتاب كريم أُحْكمت آياته ثمّ فُصّلت من لدن حكيم خبير، وإحكام الآيات يعني إحكام الألفاظ والكلمات، والجملة القرآنيّة تؤدي معناها تمامًا على الذي أحسن في الآية القرآنيّة وهكذا ليكون القرآن الكريم محكم الآيات لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والإعجاز البياني له مظاهر منها: [3]

* الاتساق اللّفظيّ والإيقاع الداخليّ.

* دلالتها بأقصر عبارة على أوسع معنى.

* إخراجها المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس.

---

[1]– رمضان البوطي، من روائع القرآن، دار الفارابي للمعارف، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2007، ص 165.

[2]– مر.ن، ص 166

[3]– علي نايف الشحود، الإعجاز اللّغويّ والبيانيّ في القرآن الكريم، المكتبة الشاملة الذهبيّة. http://www.shamela.ws. ص 408

د- الآية القرآنيّة

إن ما قيل في الجملة القرآنيّة يُقال في الآية القرآنيّة؛ ذلك أن الآية القرآنيّة قد تتكون من جملة أو عدّة جمل، فيظهر فيها ما ظهر في الجملة. والحال نفسه إلى السور القرآنيّة وجدنا أنَّها كلاً متكاملًا، لها متانة في الربط بين آياتها على الرغم من تنوع موضوعاتها، وتفرق نزولها، واختلاف أسباب نزولها، إلَّا أنَّها في النهاية تظهر وِحْدةً واحدة منسجمة ومتسقة، وهذا هو الحال في كلّ سور القرآن .

وعليه، فإن كلّ من: الحرف، والكلمة، والآية، والجملة والسورة تُعدّ من مظاهر الإعجاز البيانيّ؛ إذ من خلالها نلمس علّو منزلة البلاغة القرآنيّة وسمّوها.

2- 2 الإعجاز العلميّ:

هو مبحث حديث انتبه عليه العلماء المحدثون، ولعلّ "غير المسلمين" هم أول من بحثوا في ذلك محاولة منهم لدفع الإعجاز عن القرآن، فوجدوا أنفسهم أمام إعجاز علميّ حقيقي، أقرّوا به، وكان سببًا في إسلام كثير منهم.

كما أنَّهم يعتبرون الإعجاز العلميّ من أهم وجوه الإعجاز في زمننا هذا لضعف المستوى البيانيّ والبلاغيّ للعرب المعاصرين، حيث لا يقدرون على تذوق الإعجاز البياني وفهمه.

وقد تعدّدت تعريفات العلماء والباحثين للإعجاز العلميّ، إلَّا أنَّها تُفيد في مجملها أن الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم هو إخبار القرآن بحقيقة أثبتها العلم التجريبي الحديث، مع عدم إمكانيّة إدراكها وفهمها بالوسائل البشريّة في زمن نزول القرآن الكريم على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ومن هذه التعريفات:

- عَرّفه زغلول النَّجار بقوله: "هو سبق الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، التي لم يتمكن العلم الكسبي من الوصول إلى فهم شيء منها إلَّا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن." [1]
- وعَرّفه غانم قدوري بقوله: "الإعجاز العلميّ يتناول دراسة الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علميّة تتعلق بالفلك أو الطب أو علمي النبات والحيوان، ونحوها، وهذا الجانب من أكثر جوانب الإعجاز بحثًا وتأليفًا في الوقت الحاضر." [2]
- وعَرّفه الزنداني بقوله: "هو إخبار القرآن الكريم أو السّنة النّبويّة بحقيقة أثبتها العلم التّجريبي أخيرًا، وثبت عدم إمكانيّة إدراكها بالوسائل البشريّة في زمن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم .[3]

خلاصة الأمر أن الإعجاز العلميّ هو إخبار القرآن الكريم بحقائق علميّة لم يدركها البشر إلَّا في العصر الحاضر بعد قرون من نزوله، وفي ذلك إثبات لصدق النّبوة وأن القرآن كلام الله تعالى.

ولقد كان لهذا الوجه من الإعجاز في القرآن مظاهر متنوعة نذكر منها ما يلي: [4]

– التّوافق الدقيق ما بين الكتاب وما كشفه علماء الكون من حقائق كونيّة وأسرار علميّة، لم يكن في إمكان البشر أن يعرفوها وقت نزول القرآن.

– تصحيح الكتاب لما شاع بين البشريّة في أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الكون، لا يكون إلَّا بعلم من الله، الذي أحاط بكلّ شيء علمًا.

– سنُّ التشريعات الحكيمة التي تخفى حكمتها على الناس، وقت نزول القرآن، والتي تكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات.

---

[1] –خالد مهدي، محاضرات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، للسنة ثانية ماستر، كليّة العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 01 بن يوسف بن خدة، 2020، ص 13.

[2] – غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، ط 01، 2003، ص 249.

[3] – عبد المجيد الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 24.

[4] –ينظر: مر.ن، ص27 – 28

ومن أمثلة الإعجاز العلمي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام / 12] .

في الآية تشبيه لحال من يريد الله عز وجل إضلاله بحال من يرتفع في السماء، والشيء المشترك بينهما (وجه الشبه) هو ضيق الصدر، وهذا صريح في أن الصعود في السماء يؤدي إلى الشعور بضيق الصدر، وهذا ما أثبته العلم الحديث، فكلها ارتفعنا في السماء نقص الأكسجين وازداد ضغط الغلاف الجويّ، وهو ما نشعر به فعلاً عند ركوب الطائرة.

و في قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وإلى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ سورة الغاشية [17- 20].

ففي هذه الآية دعوة الناس للنظر والتدبر في هذا الكون. [1] أي النظر العميق في هذا الكون، وكأن القرآن يدعوهم إلى الاكتشاف العلمي.

3-2 الإعجاز التشريعيّ:

تضمن القرآن الكريم تشريعات ومناهج ومبادئ ونظمًا، شملت كافة مجالات الحياة، سواء حياة الفرد أم المجتمع، وسواء الجانب العقيديّ أم العباديّ أم الأخلاقيّ أم الاجتماعيّ أم الاقتصاديّ أم السياسي أم غير ذلك.

فإعجاز القرآن في تشريعاته عامّة من أعظم وأهم أنواع الإعجاز في القرآن الكريم، فهو من أهم جوانب الدفاع عن القرآن والانتصار له.

حيث عُرّف الإعجاز التشريعي بأنّه "تشريعات القرآن ونظمه ومناهجه. والمبادئ التي قرّرها، والقيم التي دعا إليها، والأسس التي أرساها، والهداية التي هدف إليها". [2]

[1] – ينظر: عبد الفتّاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، (د.ط)، (د.ت)، ص 263.

[2] – مر.ن، ص 321

كما عُرّف بأنّه إثبات عجز البشر جميعًا أفرادًا وجماعات عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن من تشريعات وأحكام، تتعلق بالفرد والأسرة والمجتمع في كافة المجالات، فلا يستطيعون الوصول إليه ولا ابتداع ما يضاهيه، بل يقرون بتفوقه وتميزه عن سائر التشريعات" [1]

وللمقارنة بين ما أقرّه القرآن من المبادئ والتشريعات في تلك المجالات والجوانب المختلفة، وبين ما أقرّته البشريّة في تاريخها الطويل، وما اهتدت إليه عقول عباقرتها ومفكريها وعلمائها، يظهر الفرق البعيد ما بين تشريعات القرآن وتشريعات البشر. وفي هذا يقول سيد قطب: "الذين يدرسون النظم الاجتماعيّة والأصول التشريعيّة، ويدرسون النّظام الذي جاء به هذا القرآن، يُدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانيّة ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطور والتقلّبات في يسر ومرونة ...كلّ أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشريّ واحد، أو مجموعة العقول في جيل واحد، أوفي جميع الأجيال".[2]

وقد أشار سيد قطب إلى موضوعات القرآن وتشريعاته المعجزة، وإلى تجربته هو معها، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذَا لَمْ تَاتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۖ قُلِ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحِىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّىۖ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ﴾ [الأعراف / 203]

أشار إلى الإعجاز الموضوعي والتشريعي إلى منهج القرآن العجيب في مخاطبة النفس الإنسانيّة بحقائق الوجود، وإلى منهجه العجيب وهو يتناول قضايا هذا الوجود، وإلى منهجه وهو يأخذ بيد الفطرة الإنسانيّة خطوة خطوة ويصعد بها إلى القمة السامقة. [3]

ولقد توفر لتشريع القرآن المعجز مزايا خاصة فريدة ميزته عن سائر التشريعات منها: [4]

أ-**الربَّانيّة:** وهذه من أعظم ميزات هذا التشريع فهو من عند حكيم خبير يعلم ما كان وما سيكون فجاء موافقًا لمصالح البشريّة لا يُنقض ولا يتغير.

---

[1]- سيد الحارثي، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة نجران، السعودية (د.ت)، ص 85.

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1972، 1785/4

[3] - عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص 322.

[4] -سيد الحارثي، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، ص 90، 86

ب–**الشمول**: فالتشريع القرآنيّ شامل لكلّ ما يحتاجه الناس، فشموله موضوعيّ يشمل جميع جوانب الحياة العقديّة، والتعبديّة، والاقتصاديّة والسياسيّة، والاجتماعيّة وغير ذلك.

ج **العدل**: إنَّ العدل من أبرز سمّات التشريع القرآنيّ، ولهذا جاء الأمر به في العديد من الآيات في القرآن الكريم، لأن له قيمة حيّة، وله أبعاد إنسانيّة راقية.

د–اليسر ورفع الحرج: عند تتبّع التشريعات القرآنيّة نجدها تمتاز باليسر والتسامح ورفع الحرج، فليس المقصود من هذا التشريع إيقاع الحرج بالنَّاس والتشديد عليهم، وإرهاقهم بالتكاليف، وإنَّما المقصود تحقيق معاشهم وآخرتهم بما يتفق مع طاقتهم وقدرتهم.

هـ–الدوام: إن التشريع القرآني خالد لم يتطرق إليه أي تعديل أو تغيير أو تعريف. فمنذ أن نزل التشريع وأعداؤه يحاولون عبر العصور أن يبدلوا شيئًا في القرآن ولكن هيهات، فيالها من معجزة مذهلة.

ومن أمثلة الإعجاز التشريعيّ في القرآن الكريم تحريم الرّبَا لحفظ أموال النَّاس ومنع الاستيلاء عليها في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ الله الَبْيعَ وحَرَّم الرّبَا﴾ [البقرة 275]. فالرّبَا محرم لأنَّه استيلاء على أموال النَّاس ظلمًا، واستغلالًا لحاجاتهم وهذا يُعدّ تخلف وظلم، وأن الخير في اتباع ما جاءت به الشريعة القرآنيّة العادلة. [1]

كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ اَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة/ 6]. ففي هذه الآية اشتراط الوضوء أو التيمّم إذا لم يكن الماء، وكذلك اشتراط الغسل من الجنابة، لأن الله يحب المتَطّهرين.

[1]– ينظر: الحارثي، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، ص 108.

2-4 الإعجاز الغيبيّ:

تضمن القرآن الكريم الكثير من الأخبار الغيبيّة التي تؤُكد ربَّانيّة القرآن، وتؤيّد مصداقيّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الأمُّي الذي ما كان يتلّو قبل نزول الوحي كتابًا، ولا يخط صحيفة بيمينه فجاءت جميع أنبائه كما أخبر دون أن تتخلف أو تتغيّر.

فكان من دلائل إعجاز القرآن الباهرة أنّه أثبت إعجازه الغيبيّ بكلّ جدارة، ويُعدّ هذا النوع من الإعجاز هو من أكبر أنواع الإعجاز التي حملها القرآن لأنّه يستحيل أن يعرف البشر ما سيحدث في المستقبل، لأن هذه خصوصيّة من خصوصيّات الله تعالى. قال تعالى ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ من فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ الغَيْبَ إلَّا الله وَمَا يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: 65].

وعلى هذا كان الإعجاز الغيبيّ تلك الخصائص العلميّة والمعجزات التي تكشف عن علم الغيب الذي لا يمكن لأي إنسان أن يعرفه إلَّا بوحي من الله، والتي تتضمن الأسرار التي لم يكن لأحد معرفتها قبل بزوغ نور الوحي على سيد الخلق محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

إن إدراك هذا الوجه من وجوه الإعجاز لا يحتاج إلى ذوق بيانيُ وثقافة أدبيّة لغويّة، إنَّما يحتاج إلى ثقافة علميّة إخبارية تاريخيّة، وهذه يمكن أن تتوفر لدى العربيّ وغير العربيّ. [1]

وأنباء الغيب في القرآن تدلّ على مصدره وأنّه من عند الله لا من تأليف محمّد صلّى الله عليه وسلّم لأنّه لا سبيل له ولا لقومه بتلك الأخبار ولهذا كان صلّى الله عليه وسلّم ينفي هو بذاته عن نفسه علم الغيب؛ قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِے نَفْعاً وَلَا ضَرّاً اِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنَ اَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ﴾ [الأعراف/188].

فكان صلّى الله عليه وسلّم لا ينطق على الهوى وكان يقول ما أنزل إليه وما علم إلَّا بالحقّ.

وتتجلّى ألوان الإعجاز الغيبيّ في القرآن الكريم في ثلاثة ألوان هي:

[1]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص 234.

أ/ **اللون الأول** : "**غيب الماضي**": ويقصد به إنْبَاءُ القرآن عن أخبار الماضي وقصص السابقين؛ أي ما حمله القرآن الكريم من أخبار واقعة قبل زمن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم[1]. ويندرج في هذا اللون: قصة خلق الكون؛ وقصة خلق آدم، وقصص الصالحين كأصحاب الكهف وذي القرنين، وأصحاب السبت.

وقد شمل هذا النوع مساحة كبيرة في القرآن وبالأخص في القسم المكيّ.

ب/ اللون الثّانيّ "**غيب الحاضر**": "ويُقصد به إِنْبَاءُ القرآن عن الموجودات الحاضرة. والتي لا يراها الإنسان؛ وبيان تفصيلات حياتها، مثل الملائكة والجن والشياطين.

أو هو بطريقة مختلفة مجريات الأحداث والوقائع التي حضرها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعاينها، وكان علمه بها عن طريق الوحي قبل حدوثها، أو أثناء حدوثها.[2] وأغلب هذا اللون واقع في القسم المدنيّ، إذ كان الهدف منه كشف كلّ من ناصب العداء لله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم.

ومن أمثلة هذا اللون: كشف القرآن سرائر المنافقين وفضحهم كما جاء في سورتي التوبة والأحزاب، الإنْبَاء عن ضمائر اليهود ومكرهم كما في سورتي البقرة والمائدة، وغيرها من الأمثلة .

ج/ اللون الثالث "**غيب المستقبل**: "ويُقصد به الآيات القرآنيّة التي تخبر عن أشياء و أحداث ستحدث في المستقبل، وتُحقّق مدلول تلك الآيات فيما بعد، ووقوع تلك الأحداث فعلاً كما أخبرت الآيات[3] أو بمعنى آخر يقصد به أخبار المستقبل وما يجري فيه من أحدات و وقائع غيب، لا يعلمه إلَّا الله، ولا يمكن لعاقل أن يجزم بوقوع شيء فيه، والذين يتنبأون بأحداث وأخبار مستقبليّة كثيرًا ما يُخطئون، وصدق من قال: "كذب المنجمون ولو صدقوا "

---

[1]- ينظر: محمّد بولقصاع، الإعجاز الغيبي المستقبلي في القرآن الكريم زوال بني اسرائيل أنموذجا مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجوية، جامعة أدرار الجزائر، المجلد 10، ع01، 25 جانفي 2014، ص70.

[2] – ينظر: محمود عبد الحسين الثعالبي، محاضرات في الإعجاز القرآني، ص 165.

[3]- ينظر: مر.ن، ص 169.

لقد ورد في القرآن الكريم آياتٌ صريحة تتحدث عن أخبار مستقبلية وتجزم بأحداث قادمة، وممّا يدلّ على وجه الإعجاز فيها أنَّها وقعت كما أخبر القرآن وتحققت كما وعد. ومن أمثلتها ما يلي[1]:

1- إخبار القرآن عن مستقبل الإسّلام والرّسول والقرآن: حيث جزمتْ آياتٌ قرآنيّة بانتصار الإسّلام والتمكين له، وذلك في آيات مكيّة، وكان الإسّلام وقتها في مكة مستضعفًا، وكان صلّى الله عليه وسلّم مضطهدًا وكان المسلمون معذّبين، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِے ٱلسَّمَآءِ (26) تُوتِےٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٌ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَۖ﴾ [سورة إبراهيم: 26- 27]

2- جزم القرآن بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين:

قال تعالى: ﴿أَلم، غُلِبَتِ ٱلرُّوم، فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ، فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ، بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ، وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: 1-6]

لقد جزم القرآن بانتصار الرُّوم المحطمة المهزومة على فارس -الظافرة الغالبة القويّة- وحدّد فترة زمنيّة قصيرة لانتصار الروم في "بضع سنين" والبضع يشمل الأعداد ما بين الثلاثة إلى العشرة.

وتحقق الوعد القرآنيّ الجازم، قبل انقضَاءِ المدة المحددة، حيث انتصر الروم على الفرس بعد نحو سبع سنين من نزول الآيات. [2]

فكان هذا طرف من إعجاز القرآن، ذلك الإعجاز الذي لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرّد، فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فنال واستحق بذلك أن يكون معجزة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الخالدة.

[1]- ينظر: عبد الفتاح خالدي البيان في إعجاز القرآن، ص 252.

[2]- ينظر: محمود عبد الحسين الثعالبي، محاضرات في الاعجاز القرآني، ص 170.

2-5 الإعجاز التاريخيّ:

أشرنا فيما سبق أن العلماء اختلفوا في مسألة تعدّد وجوه الإعجاز القرآنيّ، فمنهم من اكتفى بوجه واحد، ومنهم من أضاف له وجوهًا أخرى مثل الإعجاز العلميّ، الإعجاز الغيبيّ وكذا الإعجاز التاريخيّ.

كان من دلائل إعجاز القرآن الباهر ما يسمّى "بالإعجاز التاريخي"؛ ذلك أن القرآن الكريم اهتم بسرد تاريخ الأمم السابقة؛ إمعانًا في تحدّي للمعارضين له؛ فيُخْبرُنا عن حياة أناسٍ عاشوا من آلاف السنين بصورة موثقة، وبدقة متناهية، لا يصل إليها المؤرخون مهما أوتوا من أدلة ماديّة، لأن هذه الأمور من غيب الماضي. [1]

وقد نوّع لنا القرآن الكريم في عرض تاريخ الأمم السابقة، وبيّن أن الحكمة من هذه القصص أكبر أثرًا؛ وأشمل حكمة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانَ فِي قِصَصِهِم عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكَنْ تَصْدِيق الّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتفْصِيلَ كُلِّ شيءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف:111]

فالإعجاز التاريخي كما ذكره السيوطي هو "ما انطوى عليه من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة ممّا كان لا يعلم القصة الواحدة إلّا الفذ من أخبار أهل الكتاب؛ الذي قطع عمره في تعلم ذلك؛ فيورده صلّى الله عليه وسلّم على وجهه، ويأتي به على نصّه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ". [2] ولذلك حفظ القرآن قصص الأولين مع أنبيائهم عليهم السّلام.

والقرآن الكريم حافلٌ بالقصص القرآنيّة التي جاءت لتسرد حال تلك الأمم التي سبقتنا، وفيما يلي عرضٌ لنماذج من القصص القرآنيّة التي احتوت على الإعجاز التاريخي في طيات آياته.

قصّة سيدنا نوح عليه السّلام:

[1]- محمود عبد الحسن الثعالبي، محاضرات في الإعجاز القرآني، مؤسسة أم أيها بغداد، العراق، ط 01، 2022، ص 152

[2]- السيوطي؛ الإتقان في علوم القرآن، 1894/5.

اشتملت قصّة سيدنا نوح عليه السّلام على سلسلة من الأحداث المتّتالية بدءًا من دعوته لقومه ألف سنة إلّا خمسين عامًا، ومرورًا برحلة التكذيب الكبيرة التي قادها كبراء قومه، وكذلك قلّة المؤمنين به، وصناعته الفُلك وقصة الطوفان وغرق ابنه وزوجته كلّ هذه التفاصيل التي جاءت أطراف منها في كتب أهل الكتاب، ولم تأتِ أطراف أخرى منها؛ قد أخبر بها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وجه اليقين؛ لذلك ختم سبحانه وتعالى قصّة نوح عليه السّلام بقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ هَذا فَاصْبْرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلمُتَّقِينَ﴾ [سورة هود:49]

فهذا التاريخ المحكم في قصَّة من جملة من جملِ قصص القرآن الكريم؛ يدلّ على أن القرآن الكريم مُعجزٌ في توثيقه التاريخيّ، ويبنى عليه فائدة تقوم على تأديب النفوس. [1]

لقب "ملك" على حاكم مصر في عهد يوسف

من إعجاز القرآن التّاريخيّ كذلك أنّه أطلق لقب "ملك" على حاكم مصر في عهد يوسف عليه السّلام. قال تعالى: ﴿وَقَال الَملِكُ إنّي أَرى سَبْعَ بَقَرَاتٍ....﴾ [يوسف /43].

وقد أطلقت التوراة ذات الحاكم لقب "فرعون"، ويعود سبب عدم إطلاق القرآن لقب "فرعون" على حاكم مصر في عهد يوسف عليه السّلام أن لقب برعو –وهو أصل لقب فرعون– لم يكن يُطْلق على حاكم مصر نفسه في ذلك العصر، بل كان يعني " القصر الملكيّ"، ولم يبدأ إطلاق هذا اللقب على حاكم مصر إلّا بعد عصر يوسف بما لا يقلُّ عن مائتي سنة، و هكذا ففي العصر الذي عاش فيه موسى عليه السّلام كان لقب "فرعون" يطلق على حاكم مصر، وبذلك يتجلّى الإعجاز التّاريخيّ للقرآن الكريم الذي كان دقيقًا حينما لم يستخدم "لقب فرعون" إلّا مع حاكم مصر في عهد سيدنا موسى عليه السّلام، في حين عمّمت التوراة استخدام لقب فرعون على حاكم مصر في عصر كلّ من إبراهيم و يوسف، وموسى عليهم السّلام. [2]

[1]– ينظر راغب السرجاني، الإعجاز التّاريخيّ في القرآن الكريم، موقع قصة الاسلام، 3 أكتوبر 2011، تاريخ الاطّلاع: 3/05/2024، الساعة 16:30.

[2] – ينظر: هارون يحي، المعجزات القرآنية، (د.ت)، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت)، ص 75/74.

وفي هذا يقول الرّازي: "إن هذه القصص دالّةُ على نبوّة محمّد عليه الصّلاة والسّلام، لأنّه صلّى الله عليه كان أمّيصا وما طالع كتابًا ولا تلمذ أستاذًا، فإذا ذكر هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ، دلّ ذلك على أنّه إنَّما عرفها بالوحي من الله، وذلك يدلُّ على صحة نبوته." [1]

2-6 الإعجاز النفسيّ:

إنَّ الناظر في تعريفات علم النفس والطب النفسي والتعريفات الفلسفيّة عند الحكماء والمتكلمين يجد أنَّها تدلُّ في مجملها أنَّ علم النفس هو علم يحاول اكتشاف مكنونات النفس البشريّة واستخراج مخزونها، ومحاولة خطابها والقرآن الكريم قد أثبت إعجازه في هذا الجانب. فهناك آيات كثيرة في القرآن، تتحدث عن النفس الإنسانيّة، وتعرض صفاتها وأوصافها وهذا ما يُسمّى بالإعجاز النفسي في القرآن الكريم، وهذا الأخير عَرّفه فضل حسن عباس بأنّه: "هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف النَّاس ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، وعن بيان لمكنونات النفس وخفاياها ودوافعها في آي القرآن ".[2]

كما عَرّفه أحمد شكري بأنه: "عدم مقدرة الكافرين أن يأتوا بكلام مثل القرآن في بلاغته وبيانه وفي تأثيره في نفوس قارئيه وسامعيه." [3]

فهذا يظهر لنا أن تأثير القرآن الكريم في النفوس يرتقين ويفوق، ويتميّز عن تأثير غيره من كلام الأدباء والحكماء والفصحاء والشعراء وغيرهم، فأي كلام آخر لا يمكن أن تصل درجة تأثيره درجة تأثير القرآن الكريم.

وإذا نظرنا إلى التعريفات السابقة التي ذكرها العلماء للإعجاز النفسي نجد أنَّها تبحث في مجالين:

---

[1]- الرازي، مفاتيح الغيب، (د.ت)، دار الفكر، بيروت لبنان، ط01، 1981، 54/153.

[2] – فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس، عمان، الأردن، ط 08، 2015، ص 335 – 334.

[3]- أحمد شكري، بحوث في الإعجاز والتفسير في رسائل النور كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن، ص 123.

أ/ **المجال الأوّل**: هو حديث القرآن عن النفس الإنسانيّة، وبيانه لصفاتها، وتحليله لها، وكشفه لخباياها وخفاياها.

ب/ **أمَّا الثّانيّ**: فهو تأثير القرآن في النفس الإنسانيّة، سواء أكانت مؤمنة أم كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات". [1]

ومعنى هذا أن الإعجاز النفسي له جانبان أولهما المتعلق بأسلوب القرآن من ناحيّة، والثّاني المتعلق بكشف الخفايا والأسرار الإنسانيّة التي لا يمكن لأحد من البشر الاطلاع عليها، وهذا من أوضح وجوه الإعجاز التي تدلُّ دلالة واضحة أنَّ القرآن الكريم ليس من كلام محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

إنَّ الباحث في الإعجاز النفسي في القرآن الكريم لا بد أن يسير وفق ضوابط وأصول معتمدة في بحثه في الإعجاز، وهذه الأصول يجب أن تجمع في داخلها بين الآيات القرآنيّة وعلم النفس، ومن أبرز هذه الأصول ما يلي: [2]

– النظر إلى الكلمة القرآنيّة وحروفها وإبراز الأثر البيانيّ وانعكاساتها على نفس السامع، ممّا يورثه خشوعًا وشعورًا بالوجل والخوف.

– النظر في الآيات القرآنيّة التي تبرز أثر القرآن الكريم في النفس .

– النظر في جوانب الإعجاز النفسي ما يتعلق بالبلاغة والبيان، وذلك فيما عرض القرآن من أساليب الإيجاز والتشبيه والاستعارة و المبالغة و غيرها.

– النظر في الآيات التي تبين الإعجاز النفسيّ في القرآن الكريم فيما يتعلق بالعبادات كالصّلاة والدعاء والصّوم والزّكاة والحج والذكر وغيرها .

[1] – عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص 334.

[2]– عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود، الإعجاز النفسي في القرآن الكريم (دراسة تأصيلية) رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، عمان، 2005، ص 75-76.

– النظر في الآيات التي تُبيّن الإعجاز النفسي في القرآن فيما يتعلق بالعقوبات وبيان أثرها النفسي، وذلك من خلال: بيان أثر الحدود في النفس الإنسانيّة، وبيان أثر القِصَاصِ في النفس الإنسانيّة.

ومن أمثلة الإعجاز النفسي في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱلذِينَ يُنفِقُونَ فِے ٱلسَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَۖ﴾ [آل عمران: 134].

هذه الآية تضمنت ثلاثة إجراءات عمليّة، ومعالجات نفسيّة متمثّلة في:

أ/ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء والضَّرَّاء﴾ فإنفاق شيء من المال على الفقراء يُكسب الإنسان نوعًا من الارتياح، والاستقرار النفسي.

ب / ﴿والكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾ تُشير إلى أنَّ الإنسان يحاول إخماد انفعالاته بأية طريقة، ولا يسمح لها أنّ تنطلق باتجاه الآخرين، وهذه القاعدة تُعلم الإنسان أيضًا شيئًا من الانضباط الذاتيّ.

ج/ ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المحْسِنِينَ﴾ وقد تضمن قوله سبحانه وتعالى إجراء نفسيًا عمليًا يتمثل في التسامح مع الآخرين.

وهذا ما يؤكده جميع العلماء اليوم، أن التسامح هو أفضل وسيلة لضبط الانفعالات النفسيّة.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خِشيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتفكرون﴾ [سورة الحشر / 21]. في هذه الآية التأثير العميق للقرآن الذي تكاد تشير به الجبال. [1] فهذه إشارة إلى أثره في النفوس عندما تسمعه، بل إلى أثره في الجبال لو خاطبها الله به.

[1] – علي الثعالبي، محاضرات في الإعجاز القرآني، دار الكتب والوثائق، بغداد، العراق، ط01، 2022، ص 208.

الفصل الثّانيّ

من وجوه الإعجاز البيانيّ في القراءات القرآنيّة

تمهيد

إنّ لتعدّد القراءات القرآنيّة واختلافها فوائد جليلة وآثارًا بالغة في تفسير كتاب الله تعالى، واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، ولكن من غير تناقض في المعاني أو تباين فيها؛ فالاختلاف الحاصل بين القراءات اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض .

وممّا لا شك فيه أن القراءات القرآنيّة–لما كانت أبعاض القرآن– لون من ألوان الإعجاز القرآنيّ؛ إذ إن كلّ قراءة بمنزلة الآية؛ فبتعدّد القراءات تتسع المعاني وتتنوع، وفي هذا يقول الزرقاني (1376هـ): « أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدّد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز، أضف إلى ذلك ما في التنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أنّ القرآن الكريم كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضادٍ ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كلّه على تنوّع قراءاته يصدق بعضه بعضًا، ويبين بعضه بعضًا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير و هدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك من غير شك يفيد تعدّد الإعجاز بتعدّد القراءات والحروف». [1]

والمعلوم أن تعددّ القراءات القرآنيّة ظاهرة متعلقة بتعدّد لهجات العرب، ومرونة القرآن الكريم في الاستجابة، تسهيلًا للأداء على القبائل العربيّة، ما يعني أن تعدّد القراءات في أصله ظاهرة لغويّة، تتجاذبها مستويات اللّغة المتعدّدة من تعدّد في الأصوات والصيغ الصّرفيّة، وتنوّع في الظاهر التركيبيّة.

وإذا كان الإعجاز البيانيّ يُتَلَمَّسُ في حرفِه كلمته وجملته وآياته اتّفاقًا بين القرّاء، فإن التعدّد القرائيّ في هته المستويات لابدّ أن يكون "مُكملًا" لهذا الإعجاز، بل إن إثباته وتقريره واجب على علماء الأمة لدفع التناقض الذي قد يُحيل عليه ظاهر التعدّد في القراءات لاسيما من جهة المعنى.

[1] – الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 149/1.

ومن هنا جاء هذا الفصل محاولة لتتبّع جهود العلماء- قدامى ومحدثين- في إثبات صفة الإعجاز البيانيّ الكامنة في تعدّد القراءات في المستويات اللّغويّة الثلاث: الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة، مُرَكِّزينا على صور الاختلافات في القراءات، لا التوافق بينها، وهو ما شكّل عائقًا أمام البحث من حيث إن جُلّ اهتمامات الدارسين كانت في رصد ملامح الإعجاز من حيث توافق القراءات، لا من حيث اختلافها، لاسيما مع إيرادنا لبعض القراءات الشاذة، التي لا يأخذ بها كثير من العلماء، وإن كان توجيه الشاذّ أصعب من توجيه المتواتر، لِمَا يُوحي به الشاذّ في كثير من المواضع إلى البَوْن الشاسع بينه وبين المتواتر من القراءات.

أولًا: أوجه الإعجاز البيانيّ في المستوى الصّوتيّ

يُعدّ النظام الصّوتيّ الذي يتألف منه التّركيبي اللّغويّ القرآنيّ من أهم أصول الإعجاز البيانيّ؛ وذلك لما تمثله الأصوات من أهمية في بيان المعاني وإيحاءاتها، ومن ثمة حاولنا رصد أثر الاختلافات الصّوتيّة للقراءات القرآنيّة في الإعجاز.

وقد تجسدت هذه في الاختلافات في ظواهر صوتيّة متعدّدة من إبدال وهمز وتخفيف وتشديد، وما إلى ذلك.

وأمّا الاختلافات الصّوتيّة في القراءات القرآنيّة، فيمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسين:

الأوّل: ما كان صوتًا صِرفًا، دون أن يكون أثر ف البنية الصّرفيّة للكلمة، وهذا في مجمله يعود إلى تعدّد الظواهر اللّهجيّة للقبائل العربيّة على نحو ما فصّلنا فيه في عنصر: " القراءات وعلاقتها باللّهجات" ووجه الإعجاز في هذا عام، يكمن في التيسير على الأمة، ويأخذ ملمحًا بيانيًّا من حيث بيانه الآية الواحدة في صورة آيات متعدّدة، وأمّا الملمح الإعجازيّ الخفيّ في ذلك، فلم تُسعفنا المراجع التي بين أيدينا إلى رصده.

والثّانيّ: ما كان لاختلاف الصّوت فيه أثر في البنية الصّرفيّة للفظة، من مثل ظواهر الإعلال والإبدال والتشديد والتخفيف، فهي وإن كانت ظواهر صوتيّة إلّا أن لها أثرًا في اختلاف بنية الكلمة، ومن ثمة معناها.

ولعلّ هذا الضرب من التغيّرات الصّوتيّة هو ما رصدنا أوجه إعجازه في هذا المبحث.

1- الإبدال

أ-إبدال الصاد سيناً

النموذج الأوّل:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ (6) صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: 07/06]. قرأ ابن كثير "السِّرَاطَ" بالسين في كلّ القرآن، وقرأ الباقون "الصِّرَاطَ بالصاد. [1]

وما ينبغي التنبيه عليه أن هذه الكلمة "الصِّرَاطَ" الواردة في الآية الكريمة لها أربع قراءات مختلفة عن بعضها، وهناك من يعدّ هذه القراءات لهجات، وهي كالآتي:[2]

"السراط" بسين خالصة، و"الصراط" بصاد خالصة، و"الزراط" بزاي خالصة والرابعة بصوت بين الصاد والزاي. والأصل في الكلمة "الصِّرَاطَ" بالسين الصريحة، وهي لهجة عامة العرب، والأصوات الثلاثة بدل من السين.

فهل اختلاف هذه القراءات جاء لتناقض معناها أم إنّه كان لملمح إعجازيّ؟

والوجه في القراءاتين أن قراءة السين "السِّراط" أفادت معنى: الجادةُ من سرط الشيء إذا ابتلعه لأن الطريق يسترط السابل إذا سلكوه. أمَّا قراءة الصّاد "الصِّرَاطَ" إنَّما هي لهجة قريش، وقد جاءت لهجة "الصِّرَاطَ" بالصّاد في الشعر، وهو الطريق بلغة الروم.

والوجه لمن قرؤا بالسين "السِّرَاط" أنّهم آثروا أن يقرأوا بالأصل، وإن كان جميع المصاحف على مختلف القراءات والروايات قد استقر على الصاد.[3]

وأمَّا من قرأ بالصاد الصريحة "الصِّراط" فكانت قراءاتهم محاكاة للهجة قريش؛ وذلك أن قريشًا جعلت السين صادًا لقرب مخرج الصاد من مخرج الطاء، وليكون التجانس بين صوتين؛ إذ أن كلتيهما صوت استعلاء، والسين صوت منسفل، فكرهوا الانتقال من صوت أسفل في أول الكلمة، إلى

[1]- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، 105/1.

[2] – أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات القرآنيّة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1988، ص266.

[3] – ابن خالويه، الحجة في القراءات، ص62.

صوت أعلى في آخرها. وقد كُتبت "الصِّراط" بالصاد في المصاحف التي وزعت على الأمصار في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي المصحف الذي اختص نفسه.[1]

وعلى العموم فإن حاصل القراءتين أفاد أنه ومع اختلاف اللّهجات وتنوعها إلّا أن المعنى واحد سواء أكان بالصاد أم السين، وإنّما كان هذا الإبدال الصّوتيّ اختياريًا، أو أنّه راجع لتعدد اللّهجات نحو: يصدر، يزدر. فكانت قراءة السين وقراءة الصاد متلازمتان. ثم إن ما يمكن قوله حيال الإعجاز الكامن في هذه الآية الكريمة هو إنّما تأكيد على أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلم يشأ أن يُلزم قبيلة دون أخرى بقراءة معينة، وإنَّما راعى في ذلك هذه الفوارق، وهنا مكمن الإعجاز في أن القرآن وقراءاته رحمة للعالمين.

النموذج الثّانيّ:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور:35].

قرأ ابن عامر برواية الحلواني عن هشام بن عمار، والكسائي في رواية الفراء، وابن كثير "المسَيطرون" بالسين، وقرأ الباقون "الُمصيطرون" بالصاد، إلَّا أن حمزة يشمُّها الزاي.[2]

والوجه في القراءتين أن: القراءة بالسين "المسيطرون" هي الأصل، أمّا القراءة بالصاد "المصيطرون" كونها مطبقة كالطاء وتشترك مع السين في صفة الصّفير وفيه ثقل للسان أن يعمل منخفضًا ومُستعليًا في كلمة واحدة.[3]

ففي القراءة بالصاد في كلمة "المصيطرون" لا يخفى أن حرف الصاد أقوى من حرف السين فيزيد الكلمة معنى السيطرة والهيمنة والقوة ويزيد معه معنى التهكم أكثر.

[1] – أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات القرآنيّة، ص667.

[2] – ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص613.

[3] – ينظر: مر.ن، ص107.

إبدال الباء تاءً

النموذج الأوّل:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ﴾ [البقرة:219].

قرأ حمزة والكسائي "فِيهِمَ إِثم كَثِير" بالثاء، وقرأ الباقون "إثم كبير" بالباء،[1] وإذا كان ظاهر هذا الاختلاف صَوتيًّا، إلّا أنّه له أثرًا كبيرًا في البنية الصّرفيّة؛ لأن إبدال الباء ثاءً أدى إلى اختلاف الأصل الاشتقاقيّ للفظتين فكثير من "كَثُرَ"، وكبير من "كَبُرَ".

فأمّا قراءة "إثم كثير" من الكثرة، وذلك لأن شرط الخمر يُحدث معه آثامًا كثيرة من لغظ وتخليط وسبّ، وأيمان، وعداوة، وخيانة، وتفريط في الفرائض، وفي غير ذلك، فوصف بالكثرة.

يقول أبو حيان (ت 745 هـ) : "ووصف الإثم بالكثرة إما باعتبار الآثمين فكأنه قيل فيه: للناس آثام، أي كلّ واحد من متعاطيها آثم، أو باعتبار ما يترتب على شربها ممّا يصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرفة، أو باعتبار من زوالها من لدن كانت إلى أن بيعت و شُربت فقد لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخمر ولعن معها عشرة بائعها ومبتاعها والمشتراة له وعاصرها ومعتصرها والمعصورة له وساقيها وشاربها وحاملها والمحمولة له وآكل ثمنها، فناسب وصف الإثم بالكثرة بهذا الاعتبار "[2]

وأمّا قراءة "إثم كبير" فهي من الكِبرِ والعِظَمِ أي: فيها إثم عظيم، واِسْتُدِلَّ على ذلك بقوله تعالى ﴿والَّذِينَ يَجْتَنِبونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْهُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: 37]

[1] – ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص182.

[2] –أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 167/2.

فكذلك ينبغي أن يكون "إِثْمٌ كبير" لأن شرب الخمر والمسير من الكبير، وفي هذا يقول الزجاج (ت 311هـ): "فأما الإِثْمُ الكبير الذي في الخمر فبينٌ، لأنها تُوقع العداوة والبغضاء، وتحول بين المرء وعقله الذي يميز به ويعرف ويجب لخالقه".[1]

ووجه الإعجاز في القراءتين أن حاصلهما هو التأكيد على تحريم الخمر، وذمها لعظيم إثمها وعقوبتها، وكذلك لكثرة آثامها، فلا تناقض بين القراءتين؛ لأنّهما في ذم الخمر وتقبيح شاربها قد اتفقتا، فكلّ قراءة بيّنت أمرًا هو فيها، وهو من باب الاتساع في المعاني الذي لا يقتضي التضاد والتباين، وكلتا القراءتين مراد الله عزّ وجل.

2- الهمز والتسهيل

النموذج الأوّل:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [آل عمران:67]. قرأ نافع "النبيء" بالهمز، وقرأ الباقون "النبي" بغير همز[2].

فأمّا قراءة الهمز مشتقة من "النبأ"، وهو الخبر، فالنّبيُّ فعيل بمعنى "مُفعِل"، أي "منبئ" عن الله تعالى برسالته، وهي الوحي الذي يأتيه من الله؛ أو فعيل بمعنى مفعول، أي إنّه منبّأ من الله بأوامره ونواهيه.

وأمّا قراءة الجمهور "النبيُّ"، فتحتمل ثلاثة معانٍ: [3]

- أن تكون من نبا يَنْبو، إذا ظهر وارتفع، ولا ريب أن رتبة النّبيّ مرتفعة، فهو أشرف الخلق.
- النّبيّ في اللّغة هو الطريق، والأنبياء طُرق الهُدى للنّاس.

---

[1] -الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، لبنان، ط01، 1988، 292/1.

[2] - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 406/1.

[3] - محمّد الخرّاط، الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنيّة المتواترة، مجمع الملك فهد لطباعة الصحف، المدينة المنورة، السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ص 55.

– النّبيّ من المهموز، فاصله "النبيْء"، ولكن خُفف لكثرة استعماله، فأُبدل من الهمزة حرف من جنس ما قبلها، وأُدغمت الياءان.

وممّا سبق فإن النّبي فعيل بمعنى فاعل، أي: ظاهر ومرتفع، أو بمعنى مفعول، أي: مرفوع رفعه الله على خلقه. [1]

ووجه الإعجاز في القراءتين يكمن في لفظة "النبي" في حد ذاته؛ ذلك أن اللّفظة غنية بالدلالات والمعاني، وكلّها مقبولة صحيحة ومردها النبيُّ الذي استطفاه الله لتبليغ رسالاته إلى عباده، فكان هو النّبي الذي أرسله الله، والمنبئ عن الله تعالى ومُنَبَأ منه، وهو طريق من طرق الهدى الموصلة إلى طريق الله تعالى، فكلا القراءتين "النبيء والنبي"كان لهما معنى واحد وهو الإنْبَاء عن الله تعالى بوساطة نبيّه.

النموذج الثّانيّ:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمِ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [سورة هود/27]. قرأ الجمهور بالياء "بادي"، وقرأ أبو عمرو "بادئ" بالهمز.[2]

وملمح الاختلاف بين القراءتين أن: قراءة الجمهور "بادي" فمعناها: اتّبعوك في ظاهر رأيهم.[3] وأمّا قراءة الهمز "بادئ" فهي اسم فاعل مشتق من بدأت بكذا، ومعناها أول الرأي، والبادئ: المبتدئ.

والتّوجيه في قراءة الجمهور "بادي" فرق بين الإنسان الذي يعطي قراره بعدما وعاه من ظاهر الأمور التي يتعامل معها، والإنسان صاحب القرار السريع الخفيف، فالحكم المبني على الظاهر قد يستدعي التأمّل في هذا الذي ظهر له من الأمر، وتقليب وجهات النظر والتشاور مع الأخرين، وهذا لا يتوافر في القرار المبني على بادي الرأي وما يحمله من الطيش والتّهورِ. من هذه القراءة نخلص إلى أن إتهام المؤمنين من قوم نوح ناجم من أنهم حكّمو ظاهر الأمر، وما بدى لهم فيه [4]. وأمَّا قراءة الهمز

[1] –محمّد الخراط، الإعجاز البيانيّ في ضوء القراءات القرآنيّة المتواترة، ص 56.

[2] – ينظر: ابن مجاهد، الحجة في القراءات السبعة، ص332.

[3] –الفارسي، الحجة في علل القراءات السبعة، 223/3.

[4] – محمّد الخراط، الإعجاز الباني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، ص72.

فالتّوجيه فيها أنّه نقل لنا سياقها موقف قوم نوح على طريقة التصوير الفنّي الدقيق، فهم قوم عمَّهم الغَيظُ، شحنتهم البغضاء، فكانوا يختلقون الأكاذيب والإشاعات على هذا النبي الكريم؛ ليُقَلّلوا من شأن دعوته ويزُهّدوا النّاس فيها.

قال الفارسي: "اتّبعوك في أول الأمر من غير أن يُتْبِعو الرأي بفكرٍ ورَويّةٍ فيه " [1]

وهذه القراءة حملت اتهام قوم نوح لمن آمن بأنهم اتَّبعوا نوحًا من غير أن يتأمّلوا حقيقة دعوته؛ لأنّ هذا الاتباع ناجم عن أول الأمر ومبتدئه.

ووجه الإعجاز من القراءتين يتضح لنا من خلال ما بين القراءتين؛ فالمتأمّل يجد أن كلتيهما بيّنت لوناً من الاتّهام، وطريقة من طرائق التّعبير، وكلّ ذلك إنّما كان بإبدال حرف مكان حرف. كما صورت القراءتان نظرة قوم سيدنا نوح عليه السّلام لهؤلاء المؤمنون، إذ يرونهم طائشون يَبْنون صلتهم به على أساس من ظاهرة الأمر الخالي من النظرة الكليّة الشاملة، وعلى هذا كان لكلّ قراءة مذاق ولون من الاتّهام.

3- التخفيف والتشديد

النموذج الأوّل

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ وقوله: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا حتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ **[سورة الزمر: 11-13]**.

قرأ الكوفيون عاصم وحمزة الكسائي وخلف "فُتِحَت" بتخفيف التاء، وباقي القراء العشر نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمر "فُتِّحَت" بتشديدها. [2]

[1] -الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع،223/3.

[2]- مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات الشيخ،241/2 / ابن أبي مريم، الموضح في القراءات وعللها، 3/ 1118

وملمح الاختلاف في القراءتين أن من قرأ "فُتِحَت" فهو فتح عام، يرى ابن خالويه أن الأبواب في قراءة التخفيف قد فُتِحَت جميعاً في آنٍ واحد فكان الفتح واحدًا. [1]

وأمّا من قرأ "فتّحت" فهو فَتْح خاص فيه التكثير، والتكثير هنا في المفعول وهو الأبواب "فعّل" وهو الأبلغ عند الأزهري والفعل متكرر، لأن كلّ بابٍ منها قد فُتح. [2]

وهو قريب من الأوّل، والقول إن التخفيف في الفعل يصلح للتقليل والتكثير، والتخفيف هو الأصل، إلا أن التشديد يختص بأكثره؛ ذلك أن لكلّ زيادة في المبنى زيادة في المعنى على رأي أكثر علماء اللغة.

ووجه الإعجاز في القراءتين: أن هذا التغاير "فعل" و "فعّل" وإن اختلفا في البنية إلّا أن المعنى واحد: انفتاح أبواب الجنّة للمتقين وأبواب النّار للكفار.

ويمكن القول: إنّ بين القراءتين عموماً وخصوصًا، إذْ دلّت "فُتِحَت" على فتح عام، و "فُتِّحت" دلالتها خاصة بنوع من الفتح فيه تكرار للفعل، مبالغة في المعنى .

وفي هذا المعنى أشار سيبويه (ت 180هـ) وابن جني (ت 392هـ) في قوة اللفظ لقوة المعنى، حيث قال سيبويه: "... اعلم أن التخفيف في هذا جائز كله عربيا، إلا أن "فعّلت" إدخالها هاهنا لتبيّن الكثرة"[3]، أي إن المخفف عام الدلالة على الحدث، في حين يدل المشدّد على المبالغة فيه؛ فالقراءة الأولى أفادت الحدث عمومًا والثّانيّة أفادت التكثير والمبالغة.

النموذج الثّاني:

اختلف القرّاء أيضًا في قراءة قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [البَقَرة :09] .قرأ عاصم والكسائي وحمزة "يَكْذِبون" بفتح الياء وتسكين الكاف وتخفيف الذال. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر "يُكَذِّبون" .[4]

---

[1] –ابن خالويه، الحجة في القراءات، 311.

[2] –مر.ن، ص.ن.

[3] – سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، (د.ت)، 64/4.

[4] - ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 141.

وملمح الاختلاف في قراءة التشديد والتخفيف أن: يَكْذِبون من "كَذِب"، على اتصاف فاعل بفعل الكذب، وأمَّا يُكْذِّبون من "كَذّبَ" على معنى تكذيبهم لغيرهم وفي القراءتين اختلاف واضح من جهة المعنى فهل عذاب الكافرين واقع لكذبهم هم أم لتكذيبهم غيرهم. وقراءة التخفيف تعني أن المنافقين أظهروا الإيمان، وأبطنوا الكفر ولذلك كانوا كاذبين؛ فاستحقوا العذاب الأليم بسبب كذبهم في إظهار الإسلام والإيمان وهم في باطنهم كافرون، فهم كاذبون في قولهم: "آمنا بالله وباليوم الآخر". وهذه القراءة بيّنت لنا صفة من صفات المنافقين تدلُّ على ضعفهم وجبنهم، وهي صفة الكذب.

وأمّا قراءة التشديد فتعني أنّهم كَذبُّوا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فهو فعل متعدٍّ،[1] فاستحقوا العذاب الأليم بسب تكذيبهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

يقول الزجاج (311هـ): "وأمّا يُكْذّبون بالتثقيل فمعناه بتكذيبهم النّبيّ[2]، صلّى الله عليه وسلّم، وهذه الصفة منبعثة ومنبثقة عمّا في قلوبهم من مرض وشك، وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة تدلُّ على تكذيب المنافقين وعدم إيمانهم.

ووجه الإعجاز في القراءتين أن المنافقين سيعذبون العذاب الأليم بسبب كَذِبهم وتكذيبهم، فقراءة التشديد كانت معزّزة لقراءة التخفيف ومؤكدة أن المنافقين لهم عذاب عظيم؛ فاختلاف القراءتين ولّد تنوعًا في المعاني؛ إذ بيّنت قراءة التخفيف أنّهم كاذبون في أخبارهم، في حين بيّنت قراءة التشديد بأنهم يُكَذّبون النّبيّ وما جاء به من عند الله تعالى، وهذا الاختلاف لا يقتضي التضاد في المعنى؛ لأن المراد بهما هم المنافقون، وكاذبون في تكذيبهم.

يقول مكي بن أبي طالب: "والقراءتان متداخلتان ترجع إلى معنى واحد؛ لأن من كذّب رسالة الرُّسل وحجة النّبوّة فهو كاذب بما أنزل الله".[3]

النموذج الثالث:

[1] – ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 190/1.

[2] -الزجاج، معاني القرآن وإعرابه 87/1.

[3]– مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، 229/1.

كما اختلف القرّاء أيضًا في قراءة قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر:15]. فقرأ ابن كثير "سُكِرتْ" بتخفيف الكاف، وقرأ الباقون "سُكِّرتْ" بتشديد الكاف. [1]

وملمح الاختلاف بين قراءة التشديد والتخفيف في لفظة "سُكِّرتْ": أن قراءة التخفيف "سُكِرتْ" جاءت بمعنى سُحِرت، ووقفت؛ كما تقول: سكرت الماء في النهر إذا وقفته.

وأمَّا قراءة التشديد "سُكِّرتْ" أفادت معنى: سُدَّت وأُغْشِيَت[2]، وهو مبني للمجهول على القراءتين، أي سُدَّت: يقال: سكّر الباب بالتشديد، وسَكَرَه بالتخفيف: إذا سده. والمعنى: لجحدوا أن يكونوا رأوا شيئًا.[3]

فقراءة التشديد أفادت أن أبصارهم سُدَّت فما عاد يُبصرون، وقراءة التخفيف بيّنت أن سدّ أبصارهم لم يكن محكمًا حتّى يفقدوا الأبصار نهائيًا، بل أصبحوا يرون باختلاط وتغيير كما يرى السكران أو المسحور [4].

ووجه الإعجاز في القراءتين: أن كلتيهما بيّنت مُكابرة وعناد الكافرين البغيض؛ حيث إن القرآن صوّرهم يصعدون في السماء من باب يفتح لهم فيها فيصعدون بأجسامهم، ويرون الباب مفتوحًا أمامهم، ويشعرون بحركة الصعود ويرون دلائها، ثم ينكرون ويكابرون ذلك ويصفون ما رأوه مجرد

[1] – ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص367.

[2] – ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص206.

[3] – الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدّار التّونسيّة للنشر، (د.ط)،1984، 26/14.

[4] – ينظر: عمر بن سالم، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، (مذكرة الدكتوراه) فرع الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السعودية، 1413هـ، ص312.

تخيلات و أنهم سُحِروا فرأوا ما ليس بشيء شيئًا [1]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عنادهم وتكبرهم.

النموذج الرابع:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾ [المائدة:91] .قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو مشددة القاف "عَقّدْتُمْ" وكذلك روى حفص عن عاصم. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي "عَقَدْتمُ" مخففة. [2]

وملمح الاختلاف في القراءتين أن قراءة من شدّد إنمّا أراد تكثير الفعل على معنى: عَقْدٌ بعد عَقْدٍ، أو يكون أراد تكثير العاقدين للإيمان بدلالة قوله: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُمْ﴾ فخاطب جماعة، أو أنه يكون شدّد لوقوع لفظ الإيمان بالجمع بعده، فكأنه عقد يمين بعد يمين، فالتشديد يدلّ على كثرة الإيمان.

وأمّا قراءة التخفيف فإنّه أراد به عقد مرة واحدة، لأن من حلف مرة واحدة لزمه البر أو الكفارة.. إذا لزمت الكفارة في اليمين الواحدة كانت في الأيمان المكررة على شيء بعينه ألزمه وأكده.[3]

فوجه الإعجاز في القراءتين أن قراءة التخفيف بيّنت أن التخفيف فيه إلزام الكفارة، وإن لم يكرّر وفيه رفع الإشكال [4] ،كما أنها قد تفيد عقد القلب على اليمين، كما قد تفيد مجرد عقد اليمين باللّسان، وذلك بالتلفظ باليمين دون قصد القلب ذلك، وفي هذه الحالة، لا تكون ثمة مؤاخذة وحتى

[1] – ينظر: الشريف مرزوق، أثر القراءات القرآنيّة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، مجلة النص، جامعة أم البواقي الجزائر، مج05، ع 10، 28 ديسمبر 2019، ص 29

[2]– ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 247/ مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، 417/1.

[3]– مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبعة وعللها وحججها، 417/1.

[4]– مر.ن ، ص.ن.

يزول هذا الفهم، أي أن عاقد اليمين مؤاخذ سواء أعقده باللّسان وحده (عقد لفظي لليمين) أم باللّسان والقلب معًا. [1]

وأمَّا قراءة التشديد بينّت أن التشديد فيه إلزام الحالفين الكفارة على عددهم، وفيه إبهام ترك الكفارة عمن لم يكرّر اليمين، [2] كما أن قراءة التشديد لا تحتمل غير موافقة اللّسانِ القلبَ، لتُظهر الحالة النفسيّة والقلبيّة التي يؤاخذ معها عقد اليمين، مخلصة الفعل لمعنى المبالغة في عقد اليمين. [3]

[1] – ينظر: محمد أحمد عبد العزيز الجمل، الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، رسالة استكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، جامعت اليرموك، أريد، الأردن، 2005، ص 513.

[2] – مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 47/1.

[3] – مر.س، ص 513.

ثانيًا: أوجه الإعجاز البياني في المستوى الصّرفيّ:

يُعنى هذا المبحث بدراسة اختلاف الصيغ الصّرفيّة في القراءات القرآنيّة، وأثرها في المعنى، وكذا بيان وجه الإعجاز فيها، ثمّ ما يمكن أن تحدثه من أثر في بعض الأحكام الشرعيّة؛ ذلك أن اختلاف البنية الصّرفيّة غالبًا ما يكون له أثر في المعنى؛ إذ المشهور قول علماء اللّغة "كلّ زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى"، غير أن وجه الإعجاز المطلق في اللّفظ القرآني أنّه وإن تعدّدت أوزانه بين القراءات يبقى اختلاف تنوع وثراء، لا اختلاف تضاد وتضارب.

وقد رصدنا في هذا المبحث أبرز صور الاختلافات بين القراءات القرآنيّة في المستوى الصّرفيّ، وأثر ذلك الاختلاف في الإعجاز البيانيّ، وقد جاءت موزعة على النحو الآتي:

* تعدّد أبنية الأسماء في القراءات القرآنيّة، وأثره في الإعجاز.

* تعدّد أبنية الأفعال في القراءات القرآنيّة، وأثره في الإعجاز.

* الاختلاف في الإفراد والجمع بين ألفاظ القراءات القرآنيّة، وأثره في الإعجاز.

* الاختلاف بإبدال كلمة مكان كلمة أخرى، وأثره في الإعجاز.

1- تعدد أبنية الأسماء في القراءات القرآنيّة، وأثره في الإعجاز.

أ- التبادل بين اسم الفاعل واسم المفعول:

يعدّ اسم الفاعل والمفعول من المشتقات التي تحمل دلالات متباينة؛ فاسم الفاعل ما دلّ على من قام بالفعل، وأمّا اسم المفعول فيدلّ على من وقع عليه فعل الفاعل، ومن ثمّة فاختلاف قراءات الآية الواحدة بين هاتين الصيغتين قد يحيل على التناقض والاختلاف، ولكن كيف كان لهذا التغاير أثر في الإعجاز؟

النموذج الأوّل:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوَّمِينَ﴾ [آل عمران /125]. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو "مُسَوِّمينَ". وقرأ الباقون بفتح الواو "مُسَوَّمينَ"[1]

وملمح الاختلاف بين القراءتين أن قراءة "مُسَوِّمِينَ" اسم فاعل من الفعل "سَوَّمَ"، وعلى هذا تكون الملائكة هي المسَوِّمة للخيل، وأمّا "مُسَوَّمِين" فاسم مفعول من الفعل ذاته، ويكون المعنى على هذا أن التسويم أُلحق بالملائكة بفعل فاعل.

وجاء في توجيه القراءتين أن من قرأ بكسر الواو "مُسَوِّمين" أنّه أضاف الفعل إلى الملائكة، فأخبر عنهم سَوَّموا الخيل. والسَوْمَة العلامة تكون في الشيء بلون يخالف لونه ليُعرَف بها، ويقوّي ذلك أنّه رُوي أنّ النّبيّ عليه السّلام قال يوم بدر: "سَوِّموا فإنّ الملائكة قد سَوَّمت" فأضاف الفعل إلى الملائكة، فدّل ذلك على وجوب كسر الواو في "مُسَوِّمين". وأمّا قراءة الفتح "مُسَوَّمين" أنهّم أضافوا التسويم إلى غيرهم، على معنى أن غيرهم من الملائكة سَوَّمَهُم،[2] ويجوز أن يكون المراد: مرسَلِين، من قولهم: سَوَّمت السَائِمَة أي أرسلتها. [3]

ووجه الإعجاز في القراءتين أن تحرك الحرف ما قبل الأخير بالفتح أو الكسر ينقل اللّفظ من الفاعليّة إلى المفعوليّة، فلفظ "مُسَوّمين" يحتمل المعنيين فيكون على وزن "مُفَعِّل" أي "مُسَوِّم" وهو وزن اسم الفاعل جار على "يُسَوِّم" على وزن "يُفَعِّل" وهو بناء لما سمّي فاعله. [4]

وبالتالي زاد في جواز القراءتين أن السّياق يحتمل أن تكون الملائكة في مقام الفاعليّة فيكون التسويم للخيل والفعل للملائكة، ومن زاوية أخرى تكون الملائكة في مقام المفعوليّة فيقع التسويم

---

[1]- مكي بن أبي طالب، الكشف على وجوه القراءات السبع، 1 / 355 / ابن ابي مريم الموضح في وجوه القراءات وعللها، 382/1

[2]- مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، 1 / 355، 356.

[3] – ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، 1 / 382.

[4] – ابن يعيش، شرح المفصل، (د،تح)، إدارة الطباعة المنبرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، 64/6.

عليهم والفاعل غيرهم، فهم مُسَوِّمون لغيرهم (الخيل)، ومُسَوَّمون من الله عز وجل، وكلا المعنيين جائز صواب.

النموذج الثانيّ:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف/24].

قرأ عامر وابن كثير وأبو عمرو بكسر اللام "الْمُخلِصينَ"، وقرأ الباقون بالفتح "الْمُخلَصِينَ ". [1]

وملمح الاختلاف في قراءة الفتح والكسر أنّ: قراءة فتح اللام "الْمُخْلَصِينَ"، فهي اسم مفعول من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة "أخلَص"، وفسر الطبري (310هـ) قراءة الفتح بقوله: "من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا، واخترناهم لنبوّتنا ورسالاتنا"[2]. وهؤلاء القوم "المخْلَصْونَ"، اختارهم الله واصطفاهم لعبادته وكرامته. وهم من اجتباهم وأخلصهم من كلّ سوء. [3]

وأمّا قراءة كسر اللام "الْمُخْلِصِينَ" فهي اسم فاعل من الثلاثي "أَخْلَصَ" المزيد بهمزة، وهي كما يقول الطبري: "تعني الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا، فلم يُشرِكوا بنا شيئًا ولم يعبدوا شيئًا غيرنا". [4]

كما تعني عند السمين الحلبي (ت 756هـ) "المخلصين أنفسهم أو دينهم". [5]

وصفة الخالص عند الراغب الأصفهاني (502هـ) تعني الذي زال عنه شوبه بعد أن كان فيه. [6]

---

[1] -ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 348.

[2] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، مصر، ط01، 2001، 100/13.

[3] – مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع، 9/2/ السمين الحلبي، الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: محمّد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، (د.ط)، (د.ت)، 470/6.

[4] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 101/13.

[5] – السمين الحلبي، الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، 470/6.

[6] – الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 292.

ووجه الإعجاز في القراءتين أن كلّ قراءة أسست لدلالة تختلف عن دلالة القراءة الأولى، فقراءة الفتح تعني أن الله اجتبى هذه الفئة واختارها للنبوّة والرسالة، وقراءة الكسر مثلّت الذين أخلصوا لله أعمالهم، فهم الموحدون والقوم الذين عُرِفُوا بإخلاص العبادة له، وبذلك يكون الله قد أثنى عليهم، وقد حازوا الدلالتين معًا فهم مخلَصون ومخلِصون، ولا تعارض بين دلالة القراءتين، ولعلّ ملمح الإعجاز فيه أن عباد الله مخلِصون حقًا لعبادته ومخَلصون أخلصهم الله لنفسه.

النموذج الثالث:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء/ 19] .قرأ ابن كثير وأبو بكر يفتح الياء "مُبَيَّنَةٍ " وكسرها الباقون "مُبَيِّنَةٍ" [1]

وملمح الاختلاف بين القراءتين أنّ: قراءة من فتح "مُّبَيَّنَةٍ" بنى الفعل للمجهول، كأنّه قال بيّنَت الفاحشة فهي مبيّنة [2] أي يبيّنها من يقوم فيها وينكرها، ويبيّن الآيات أنّها آيات، أي يبينها الله أنَّها آيات. [3]

وأمَّا قراءة الكسر "مُّبَيِّنة" فمعناها ظاهرة واعلم أنّك إذا كسرتها جعلتها فاعلة أي هي التي تبيّن على صاحبها فعلها. [4] ومن قرأ بالكسر بنى الفعل للفاعل، كأنَّها هي المبيِّنة، يُقال بان الشيء وأبان وبيّن وتبيّن واستبان واحد كلّه لازم، فمن فتح فحجته.[5]قوله: ﴿وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ [آل عمران/ 118].

---

[1]- مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع،1/383/ ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القاءات، تح: عمر حمدان الكبيسي، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، السعودية، ط01، 1991، 410/1.

[2]- ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات، 410/1.

[3] - مكي بن ابي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع،383/1.

[4]- بن زنجلة، حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط05، 1997، ص196.

[5]- ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات، 1 / 411.

ووجه الإعجاز في القراءتين أن السّياق يحتمل المعنيين معًا بحسب تقدير القارئ للفاعل، تكون القراءة مرتبة على ذلك، فقراءة الفتح كانت تقدير القارئ للمفعول، وقراءة الكسر كانت تقدير القارئ للفاعل، فبيّنت القراءة على صاحبها فعل الفاحشة. ولعلّ وجه الإعجاز أنّ الفاحشة تثبتُ متى كانت بينة أمام الناس لا يحتاج إلى إثباتها، كأن تكون من المجاهرة بالمعاصي، أو تخفى فيثبتها على من يأتين بها غيرهم بالبيّنة الواضحة فهي مُبَيَّنَةٌ عليهم، وفي كلتا الحالتين يكون الحكم واحدًا، طالما تثبت الفاحشة.

ب-الاختلاف بين صيغتي "فَعِلٌ" و "فَاعِل":

النموذج الأوّل:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة: 03]. قرأ عاصم والكسائي "مالك" وقرأ الباقون "ملك".[1]

وملمح الاختلاف في القراءتين أن: قراءة "مالك" فهي اسم فاعل من "ملك" إذا اتصف بالملك، ومعناها: أنّه سبحانه المتصرّف في الأعيان المملوكة كيف يشاء.[2]

وإنَّما خصّ "يوم الدّين"، والله عزّ وجل يملك كلّ شيء لأنّه اليوم الذي يضطر فيه المخلوقون إلى أنْ يعرفوا أنّ الأمر كلّه لله، ألا تراه يقول: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [سورة غافر:15]، فقد أفادت هذه القراءة أنّه سبحانه يملك يوم الدِّين والحساب، ولا يملك ذلك اليوم أن يأتي به، ولا سائر الأيام، غير الله سبحانه، وهذا مالا يشاركه فيه مخلوق في لفظ ولا معنى.[3]

---

[1] – ينظر: ابن مجاهد السبعة في القراءات، ص 104.

[2]– محمّد سالم محمّد محيسن، المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، (د.تح)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط02، 1988، 125/1.

[3]– ينظر: الفارسي، الحجة للقراء السبعة، 15/1.

وقد ذكر الرَّازي أن قراءة "مالك" تدلُّ على الفضل الكثير، والرَّحمة الواسعة، فلا يدلّ يُطلب منك العدل والإنصاف فحسب، وإنَّما يُطلب أكثر من ذلك .[1]

أمَّا قراءة "ملك" فهي صفة مشبهة دالة على الثُّبوت صارت اسمًا لصاحب الملك، وتشير إلى صفة المتصرّف بالأمر والنّهي في الجمهور. [2]

وقال الطبري شارحًا لما أفادته هذه القراءة "ملك": لله الملكُ يوم الدّين خالصًا دون جميع خلقه، الّذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة، ينازعونه الملكَ ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان، والجبريّة، فأيقنوا –بلقاء الله يوم الدِّين– أنَّهم الصّغرةُ الأذلة، وأنّ له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء. [3]

والملكُ عادة يملك على النَّاس أمورهم في أنفسهم وجميع مُتصرفاتهم، فلا يستحق اسم الملك حتى يجتمع له مِلْكُ هذا كله.[4]

وذهب الرَّازي إلى أن لفظة "ملك" تعني: أنّهُ لا يشبه سائر الملوك لأنَّهم إن تصّدقوا بشيء انتقص ملكهم، أمَّا الحقُّ فملكه لا ينتقص بالعطاء بل يزداد، وثبوت الملك له في ذلك اليوم يدلّ على كمال القهر. [5]

ووجه الإعجاز في القراءتين هو أن كلتا القراءتين تخدم المعنى واجتماعهما يثريه، ولا يجوز التفضيل بينهما، وقد اجتهد المعاصرون في التّوجيه البلاغيّ لهاتين القراءتين حيث قال فضل حسن عباس: "والذين ندين به، ونلقى الله عليه أن كلتا القراءتين صحيحة أداءً ومعنى، ولكلّ منهما معنى تبلغ به نهاية الإيجاز وغاية الإعجاز. بيان ذلك أن النَّاس في هذه الدنيا يفرقون بين أمرين اثنين، وهذان الأمران هما غاية كثير من النَّاس، أحدهما "المِلكُ" وهو حُبُّ الرياسة وطلب القوة، والآخر الملك وهو:

[1] – ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب،240/1.

[2] –الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 611.

[3] –الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 65/1.

[4] – الفارسي، الحجة للقراء السبعة، 14/1.

[5] – ينظر: الرازي – مفاتيح الغيب، 293/1.

حُبُّ القنية والتملك وجمع الثروات الهائلة، ولكلّ وجهة. والآية الكريمة بقراءتيها جاءت مبينة هاتين الغايتين اللتين تسيطران على كثير من النَّاس، وأن ليس لأحد منهما شيء في ذلك اليوم، فهما لله وحده، فالله مالك يوم الدين، صاحب السلطان، لا سلطان لأحد غيره، وهذا ما ترشده إليه القراءة الأولى "ملك يوم الدين"، وهو كذلك سبحانه المتصرّف وحده في شؤون النَّاس والكون، هو الذي يملك كلّ شيء وهو الغني الحميد". [1]

2- اختلاف أبنية الأفعال في القراءات القرآنية، وأثره في الإعجاز البياني.

أ-الاختلاف بين صيغة "فَعَلَ" و" فَعّلَ:"

النموذج الأوّل

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ﴾ [سورة محمد:23].

قرأ يعقوب "تَقْطَعُوا" بتاء مفتوحة وقاف ساكنة وطاءٍ مفتوحة مخففة، وباقي القرّاء "تُقَطِّعوا" بتاء مضمومة وقاف مفتوحة وطاءٍ مكسورة مشددة. [2]

وملمح الاختلاف في القراءتين أنّ قراءة "تَقْطَعُوا" فمن "قَطَعَ" رحمه لقوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: 27] . وأمّا قراءة "تُقَطِّعوا" فمن "قَطَّع" رحمه قطّعها من التقطيع على التكثير دائمًا. [3]هذا بلغ في باب قطيعة الرحم من التقطيع [4] بل هو موضّح، ومحدّد لطبيعة الفعل العامة في قراءة التخفيف، قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [الأنبياء :92]

---

[1] - فضل حسن عباس، القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، دار المنظومة، دراسات العلوم الانسانية، الجامعة الأردنية، الأردن، مج 14، ع07، 2018، ص 16.

https://search.mandumah.com/Record/1031.

[2]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 374/2

[3]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، 274/19.

[4]- الأزهري، معاني القراءات، تح: مصطفى درويش وآخرون دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 1، 1993، 388/2.

ووجه الإعجاز في القراءتين يكمن في أن الله تعالى يوجّه خطابه إلى هؤلاء الذين إذا ذُكِر القتال في سبيله نظروا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نظر المغشي عليه، بأنه إن تولوا عن تنزيل الله وفارقوا أحكامه عصوا في الأرض وسفكوا الدماء، وقطعوا أرحامهم على ما كانوا عليه في جاهليتهم، والقراءتان منسجمتان، الأولى عامة للدلالة على القطع، والثّانيّة للمبالغة في الفعل إذ أمر الله بصلة الرّحم لأن ذلك هو الأصل والواجب فمن قطعها فقد قطّعها مبالغة في فصل ما حقه الوصل. [1]

ب-الاختلاف في صيغتي "أَفْعَلَ وفَعَّلَ"

النموذج الأوّل:

اختلف القرّاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إلاَّمَن يُنِيبُ﴾ [غافر:13]

قرأ ابن كثير وأبو عمر ويعقوب "يُنْزِل" بنون ساكنة وزاي مكسورة خفيفة، وهو من "أنزل" والباقون "يُنَزِّل" وهو من "نَزَّل" بنون مفتوحة وزاي مكسورة مشددة.[2]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضَ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشُّورَى: 25]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتُهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشُّورَى: 26]

قرأ في الموضعين الأخيرين ابن كثير وأبو عمر ويعقوب وحمزة والكسائي "ينْزِل" بنون ساكنة وزاي مكسورة خفيفة، وباقي القرَّاء العشر "ينزّل"، "أنزل أفعل". بنون مفتوحة وزاي مكسورة مشددة .

[1] – الجمعي حميدات، أوجه الإعجاز الصرفي في القراءات القرآنية من خلال التفسير، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مج 9، ع 1،31 جويلية 2013، ص23

[2]– ابن الجزري النشر في القراءات العشر، 2 / 366

والقول إنّ الصيغتين " أفعل وفعّل"، من مزيد الثلاثي، وقد زيد في الأوّل همزة، وفي الثّانيّ حرف من جنس عينه فضعّف، ثم إن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وتكثير اللفظ لتكثير المعنى، وممّا يُستفاد من الزيادة في الصيغتين "التعديّة" سواء أكان بالهمز أم بالتضعيف، أي جعل الفعل اللازم متعديًا، وإن كان متعديًا لمفعول صار متعديًا لمفعولين، كما أن "فعّل" تدلّ على التكثير.

وأمّا عن تغاير القراءة "ينزل وينزّل" فقد اختلف أهل اللّغة بإزائه، إذ هما لغتان عند أكثرهم، يقول سيبويه: "قد يجيء الشيء على فعّلتُ، فيشرك أَفعلتُ مثل: أفرحتَ وفرحتَ، أنزلتَ ونزّلتَ..." [1]

فإن كان كلّ واحد من "نزّل" و "أنزلَ" يُستعمل كما يُستعمل الآخر ويعني بما يعني بالآخر لم ينكر أن يوقع كلّ منهما موقع الآخر وهذا ممّا يعلم منه، أنّ فعّل بمنزلة أَفعَلَ وأن تضعيف العين للتعدي وليس يراد به الكثرة، تقول "نزل الرزق مكتف بذلك الفعل بالفاعل، فإن أردت تعديته قلت أنزل الله الرزق أو نزّله"، هذا وقد فرق البعض بين الصيغتين إذا "ينْزِل" دالة على عموم الحدث، وهو إنزال الله الرزق في دلالته مجازيّة علاقتها المسببيّة (الماء، الرزق، سبب، مسبب)، أو نتيجة من النازل من السماء وهو المطر، أمّا صيغة "يُنزّلُ" المشددة فتفيد الكثرة في الفعل للدلالة على تكرار النزول و مداومته شيئًا بعد شيء، وهي مبنية للقراءة الأخرى إذ هو نزول خاص فيه تحديد للفعل تكرار حسب حاجة النَّاس بل حسب تقريره سبحانه وتعالى. [2]

3-الاختلاف في الإفراد والجمع وأثره في الإعجاز:

النموذج الأوّل:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة/69]

[1]- سيبويه، الكتاب، 55/4.

[2] - الجمعي حميدات، أوجه الاعجاز الصرفي في القراءات القرآنية من خلال التفسير، ص24.

قرأ نافع وابن عامر وشُعبة وأبو جعفر ويعقوب وأبو بكر والحسن والمفضل "رِسَالاَتَهُ" بالجمع.

وقرأ أبو عمر وابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وخلف وحماد رِسَالَتَهُ" بالإفراد. [1]

والوجه في القراءتين أنّ: قراءة الجمع "رِسَالَاتَهُ" بمعنى أنّه قال "برسالات": أن الرُّسل يُرسلون بضروب من الرسائل كالتّوحيد والعدل وما يشرعون من الشرائع، وما يُنسخ منها على ألسنتهم، فلما اختلفت الرسائل حسُن أن يجمع، كما حسن أن تُجمع اسماء الأجناس إن اختلفت، تقول: رأيت تمورًا كثيرةً، ونظرت في علومٍ كثيرةٍ. [2]

وأمَّا قراءة الإفراد فإن الرِّسالة اسم جنس، وهذه الأسماء لم يجمعها لأنَّها تدلُّ على الكثرة وإن لم تُجمع كما تدلّ عليها الألفاظ المصوغة للجمع، وتدلُّ على الكثير كما تدلُّ ألفاظ الجمع عليه، وممَّا يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿لَّا تَدْعُواْ الْيَوْمَ ثُبُورًا واحدًا وَادْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [القرقان/14] فوقع الاسم الشائع على الجميع كما يقع على الواحد، فكذلك الرسالة. [3]

"فرسالة" بالإفراد تدلُّ على أنَّ الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم أُرسل برسالة واحدة هي "الإسلام"، وأمَّا قراءة الجمع فَتُوهِم أنَّ الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم أُرسل بأكثر من رسالة غير رسالة "الإسّلام" والقرآن، ولعلّ ذلك يكون مَدْخَلًا لأهل الإلحاد والشرك للطعن في صحّة الرِّسالة السّماويّة من حيث وحدتها أو تعدّدها.

من التّوجيه اللّغويّ للقراءتين يتضّح أن لا تعارض بينهما من حيث المعنى؛ إذ لو أُريد بالرِّسالة التكثير فهي موافقة للقراءة الثّانيّة من جهة المعنى، وهي في الأصل مُضَمنّة في الرسالة الواحدة-" الكتاب"- التي خُصّ بها كلّ رسول من الرُّسل، ومنهم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، فرسالته واحدة هي "القرآن" من حيث هو كتاب الله، وهو مُضمّن رسالات عديدة للمسلمين يبلّغُها الرّسول صلّى

[1] – عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 319/2.

[2] – الفارسي، الحجة للقراء السبع، 238/3.

[3]– مر.ن، 247/3.

الله عليه وسلّم لهم من التوحيد والعدل، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وما إلى ذلك ممّا تضمنّه القرآن؛ فهو إذا رسالة واحدة مُضَمنّة لعدّة رسائل.

النموذج الثّانيّ:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَعلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [سورة البقرة/ 184]

قرأ نافع وابن ذكوان وأبو جعفر والمطوعي والحسن وابن هشام وابن عمر وابن عامر "مَسَاكِين" على الجمع، وقرأ الباقون "مِسْكِينٍ" على التوحيد. [1]

يتضمن نصّ الآية حكمًا شرعيًّا يتعلّق بقضاء الصّيام لمن له عذر يمنعه من القضاء بإخراج فدية وهي إطعام مسكين، ولكن اختلاف القراءتين في قوله "إِطْعَامُ مِسْكِين" بالإفراد و "إِطْعَامُ مَسَاكِين" بالجمع تُوهّم بالتباس الحُكم؛ إن كان الإطعام مخصوصًا بمسكين واحد في "اليوم" أم بعدّة مساكين، ولا شك أن بين المعنيين فرق يفضي إلى الإبهام، فهل اختلافهما تناقض أم لملمح إعجازيّ مقصود؟!

وجِّهَت قراءة الجمع "مَسَاكين" على رد الجمع على ما قبله في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ لأنّه من مقابلة الجمع بالجمع.[2] ولأن الذين يطيقونه جماعة؛ فكلّ واحد يُلزمه إذا أفطر طعام مسكين، فالذي يُلزم جميعهم إذا أفطروا إطعام مساكين كثيرة، على كلّ واحد عن كلّ يوم أفطره مسكين.[3]

وأمَّا قراءة الإفراد "مِسْكِينٍ" فالوجه لمن قرأ بها أنَّها جاءت على معنى أنَّ لكلّ واحد من الّذين يطيقونه فدية طعام مسكين [4]. كما أن الواحد النّكرة يدلّ على الجمع، فاستُغني به عن لفظ الجمع، وأيضًا فإنّه ردّه على الفِدْيَةِ، فوحَّد كما وُحِدَّت.[5]

---

[1]- عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 252/1.

[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 167/2.

[3]- مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع، 283.

[4]- ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص316.

[5] - مر.س، ص283.

كما أنَّ البيان على الحُكم الواحد في ذلك، البيان على حكم جميع أيام الشّهر، وليس في البيان على حكم إفطار جميع الشهر البيان عن حُكم إفطار اليوم الواحد .

يقول الطبري في تفسيره: "وأعجب القراءتين إلي في ذلك من قرأ طعام مسكين على الواحد، بمعنى: وعلى الّذين يُطِيقُونَهُ عن كلّ يوم أفطروه فِدْية طعام مسكين، لأن في إبانة حكم المفطر يومًا واحدًا وصولًا إلى معرفة حكم المفطر جميع الشهر، وليس في إبانة حكم المفطر جميع الشهر وصول إلى إبانة حكم المفطر يومًا واحدًا وأيامًا هي أقل من أيام جميع الشهر، وأنّ كلّ واحد يُترجم عن الجميع وأن الجميع لا يترجم به عن الواحد، فلذلك اخترنا قراءة ذلك بالتوحيد " [1]

ووجه الإعجاز في القراءتين أنّ كلّ قراءة قامت مقام آية فالقراءة الثّانيّة كانت مؤسسة لمعنى جديد غير المعنى الذي أفادته القراءة الأولى؛ إذ دلّت على حكم شرعي مختلف عن الحكم الشرعي الذي دلّت عليه القراءة الثّانيّة، ومفاد هذا الحكم تعلّقه بقضاء الصّيام بمن كان له عذر فقراءة الإفراد بيّنت أن ضريبة القضاء كانت ملزمة بإفطار كلّ يوم مسكين. وذلك لمن أفطر كلّ يوم، في حين أن القراءة الثّانيّة –قراءة الجمع–أخبرت أن على الجماعة إذا أفطروا عليهم بإطعام مساكين فلا يدري ما على كلّ واحد أفطر يومًا، وبذلك كانت قراءة الإفراد مُبنيّة لمقصد قراءة الجمع.

النموذج الثالث:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ [يوسف/ 10] قرأ نافع لفظة "غيبت" بالجمع "غيابات"، وقرأ الباقون " غيابة" مفرداً. [2] وقد يُتَساءل في هذا الموضع بين: هل للجُبِّ غيابة واحدة أم غيابات؟ وهل كلا المعنيين صائب؟ لما كان المشهور أنّه لكلّ جُبِّ غيابةً.

[1] - ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، 493/2.

[2]- ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 345.

وجاء في توجيه القراءتين أنّ: قراءة الجمع "غيابات" جاءت على معنى أنَّ كلّ ما غاب عن النظر من الجُبِّ غيابةً، فالمعنى: ألقوه فيما غاب عن النظر من الجُبِّ، وذلك أشياء كثيرة تغيب عن النظر منه، ويجوز أنَّ يكون المعنى على حذف مضافٍ، أي: ألقوه في إحدى غيابات الجُبِّ، فيكون بمنزلة القراءة بالتوحيد .

وأمَّا القراءة بالإفراد "غيابة" فجاءت على أن يوسف لم يُلقَ إلَّا في غيابة واحدة، لأنّ الإنسان لا تحويه أمْكِنَةً، إنّما يحويه مكان واحد. ويجوز أن يكون الواحد يدلُّ على الجمع.[1]

وذهب الرَّازي إلى أنّ الغيابة ذُكِرت مع الجُبِّ دلالة على أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجُبِّ لا يَلْحَقُه نَظَرُ الناظرين، فأفاد ذِكرُ الغيابة هذا المعنى، إذ كان يحتمل أن يُلْقَى في موضع من الجُبِّ لا يحول بينه وبين الناظرين.[2]

وأمّا في قراءة الجمع "غيابات" فذهب إلى أن للجُبِّ أقطارًا ونواحي، فيكون فيها غيابات.[3]

ووجه الإعجاز في القراءتين أنّه لا تعارض بين القراءتين فكلتاهما صَورت المكان الذي ألقي فيه يوسف عليه السّلام، فكانت قراءة الجمع "غيابات" تصوير لحالة الفزع والخوف الّذي طال النّبيّ حينها، فكانت القراءة على معنى تفخيم الأمر، وتهويل المشهد. أمَّا قراءة الإفراد "غيابة" فدلّت على أن المكان الذي أُلقي فيه النّبيّ مكان واحد، كما يجوز أن يكون الواحد يدلُّ على الجمع فتتفق القراءتان.

4- إبدال كلمة بكلمة أخرى:

النموذج الأوّل

[1] – مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع، 05/2.

[2]– ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 18 / 97.

[3] – ينظر: مر.ن، ص.ن.

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاة مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلى ذِكْر اللهِ﴾ [الجمعة:09]

قرأ عمر بن الخطاب، وعليٌّ، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وجماعة من التّابعين رضوان الله عليهم أجمعين "فامضوا إلى ذكر الله" بإبدال كلمة "فاسْعَوْا" بـ "فامضوا" [1]

وملمح الاختلاف بين القراءتين أن قراءة السعي "فاسعوا" إلى ذكر الله أفادت أن السعي يقتضي شيئًا من السرعة والهرولة، وأصله الاشتداد في المشي.[2]

وأمّا قراءة المضي "فَامْضُوا إِلى ذِكْرِ الله" جاءت بمعنى: مضى الشّيء يَمْضِي مُضِيّا ومضى في سبيله.[3]

والمضي لا يقتضي السرعة والهرولة .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إذا أُقِيمَتْ الصَّلاة فَلَا تَأْتُوهَا وأَنْتُم تَسْعُون وَاتُوهَا وَأنتم تَمْشُون، وَعَليكُم السّكينة؛ فما أدركتم فصلّوا وما فاتكم فأتمّوا ".[4]

إن وجه الإعجاز بين قراءة "السعي" و "المضي" يكمن في أن القراءة الثّانية "المضي".

دَفْعُ لتُوهم وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، ولكن القراءة الثّانية رفعت هذا التَوهم لأن المضي ليس من مدلوله السرعة.[5]

وعلى هذا كانت القراءة الثانية –فامضوا–قراءة تفسيريّة وضّحت معنى القراءة الأولى التي يحيل على غير المعنى الدقيق المقصود وهو الهرولة والإسراع في المضي إلى الصلاة، فبيّنت الثّانيّة أن المراد في هذا مجرد الذهاب إلى الصلاة بسكينة ورويّة، وهنا مكمن الإعجاز.

---

[1]– ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز (د.تح)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)،

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 225/27.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ص 4222، مادة "م. ض.ى"

[4] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة، حديث رقم 907، ص 539.

[5] – الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 1/125

النموذج الثّانيّ:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 06]. قرأ الجمهور "فَتَبَيَّنُوا "، وقرأ حمزة والكسائي "فَتَثَبَّتُوا " [1]

وملمح الاختلاف في القراءتين أن قراءة "فَتَبَيَّنُوا" أفادت معنى التّبيّن بالطرق المختلفة، وقراءة "فَتَثَبَتُوا" أفادت معنى التثبت.

أمّا القراءة الأولى "فَتَبَيَّنُوا" فمن التّبيّن: الإيضاح، وتبيّن الشَّيءُ: ظهر، واسْتَبنتَ الشيءَ: إذا تأملته حتى يتبيّن لك.[2]

قال الطبري: التّبيّن بأنّه التأني، والنظر والكشف عنه حتى يتضح.[3]

ويرى ابن عاشور أن التّبيّن طلب بيان الأمور فلا تعجلوا فتتبّعوا الخواطر الخاطفة الخاطئة.[4]

وأمَّا القراءة الثّانية "فَتَثَبَّتُوا" فهي من التثبت؛ "تثبت في الأمر والرأي: تأنى فيه، ولم يعجل، واستثبت في أمره إذا شاور وفحص عنه".[5]

وحمل ابن زنجلة التثبت على معنى التّأني والتوقف، حتى نتيقن صحّة الخبر [6]، في حين أن أبا شامة حمل القراءتين على ترتيب الأفعال في الوجود، فيكون التثبت أولًا، ثمّ يأتي التّبيّن ليكون ثمرته ونتيجته[7].

---

[1]- ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، 236.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ص4555، مادة "ت.ث.ب.ت"

[3]- ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن 79/7.

[4]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 231.232/25

[5]- ابن منظور، لسان العرب، ص4555،

[6] – ابن زنجلة، حجة القراءات، ص 207

[7] – ينظر أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، تح: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت) ص 420.

ولقد تنوعت واختلفت آراء العلماء في حمل المعنيين–التّبيّن والتثبت–فابن مكي يرى أن التّبيّن يعمُّ التثبت؛ لأن كلّ من تبيّن أمرًا فليس يتبيّنه إلَّا بعد تثبت، ظهر له ذلك الأمر، أو لم يظهر له، ولا بد من التثبت مع التّبيّن، ففي التّبيّن معنى التثبت، وليس كلّ من تثبت في أمر تبيّنه، فقد يتثبت، ولا يتبيّن له الأمر؛ فالتّبيّن أعمّ من التثبت في المعنى لاشتماله على التثبت.[1]

ممَّا تقدّم من القراءتين يتضّح أن كلّ قراءة وفّت بجانب من جوانب المعنى المراد، فقراءة التثبت أشارت إلى شيء يكون من المرء أولاً يعتمد على الفحص والمشاورة، وطلب الثابت من الأشياء التي لا تزول. أمَّا القراءة الثانّية فكانت ثمرة القراءة الأولى إذ مثلت المرحلة التالية الناجمة عن التثبت: وهو اليقين، والتّبيّن ووضوح الأمر وظهور أبعاده، والإحاطة بتفاصيله.

[1] – مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع، 1/ 394.

ثالثًا: أوجه الإعجاز البيانيّ في المستوى التركيبي

يُعدّ الجانب التّركيبي في القرآن الكريم من منظور الإعجاز البيانيّ، متممّا لما قبله (الجانب الصّرفيّ)؛ لأن: "معرفة مادة الكلمة، وأصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت بها، لا تكفي غالبًا لتحديد معناها تحديدًا تامًا دقيقًا؛ فإن كلّ كلمة بعد أن أُخِذَتْ من مادّتها الأصليّة، وبُنِيتْ على أحد الأوزان الصّرفيّة، استعملت في مواطن من الكلام، وخصّصها الاستعمال بمعانٍ أخصّ من المعنى العامّ الذي تدلّ عليه مادّتها، وبتعدد الاستعمال خلال العصور، وفي مختلف المناسبات، وشتّى البيئات يتم للكلمة أكثر من معنى ويجتمع لها أكثر من دلالة ".[1]

ولا ريب أن هذه الدلالات متولدة من طرف تعليق هذه الكلم بعضها ببعض، وليس هذا التّعليق – كما يقرر الجرجاني (471هـ) – سوى توخي معاني النّحو وأحكامه،[2] وهو أساس النظم الذي هو جوهر إعجاز القرآن.

وفي هذا المبحث سنعرض نماذج من القراءات التي اختلفت صورها التّركيبيّة بين التّقديم والتّأخير، والزيادة والنقصان، ومن حيث الإعراب، ومحاولين رصد ملامح الإعجاز البيانيّ التي أفضت إليها.

1- الاختلاف بالتقديم التّأخير

نقصد بالتّقديم والتّأخير في هذا الموضع ما يعتري ألفاظ الآية الواحدة من تقدم وتأخر تبعًا لتعدّد القراءات الواردة فيها، وأثر ذلك في الإعجاز.

النّموذج الأوّل

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204]

[1] – محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، دمشق سوريا، ط2، 1960، ص182.

[2] – ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، 526.

قرأ الجمهور "ويُشْهِدُ اللهَ" وقرأ ابن عباس "والله يَشْهَدُ على ما في قلبه" بتقديم لفظة الجلالة "الله" و تأخير الفعل "يَشْهَدُ"،[1] وقع في القراءتين أكثر من اختلاف، فالأوّل تقديم لفظ الجلالة وتأخيره والثّانيّ: في نوع الفعلين، فيُشهِد: من أشهد، بمعنى جعله شاهدًا، والثّانيّ: يَشْهَد، من شَهِد، أي: اتصافه بالشهادة.

وقراءة الجمهور و "يُشْهِدُ اللهَ" جاءت وفق الترتيب الآتي: فعل + فاعل مضمر+ مفعول به. وهذا هو الأصل في ترتيب الجملة الفعلية. والمعنى أن مُدَّعي الإيمان بالله ورسول يجعل الله شاهدًا بأن يقول: الله يعلم أن ما أدّعيه هو الحق، وقولي هو الصدق، وأن ما في قلبه يوافق لسانه واعتقاده،[2] فهو يُظهر للنّاس الإسلام، ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق.

وأمَّا قراءة ابن عباس "واللهُ يَشْهَدُ على ما في قلبه" بتقديم اسم الجلالة وتأخير الفعل، وإضمار الفاعل؛ بهذه القراءة نقل الجملة من كونها فعليّة إلى كونها اسميّة، فتغيّرت وظائف عناصرها نحّويًا، فلفظ الجلالة على القراءة الأولى كان مفعولًا به، وفي القراءة الثّانيّة أصبح مبتدأ، كما أن الفاعل ليس نفسه على القراءتين؛ فهو الضمير العائد على المنافق، في القراءة التي عليها جمهور القرّاء، وأمَّا في القراءة الشّاذة، فهو الضمير العائد على الله عز وجل.[3]

كما أن الفعل المضارع على القراءة الثّانيّة، اختص بوظيفة ثانيّة؛ وهي كونه خبرًا والتقدير: والله شاهدٌ .

[1]- عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 1/278-299.

[2]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،1/557.

[3]- عمار بوبقار، ظاهرة التقديم والتأخير في القراءات القرآنية مقاربة نحوية دلالية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع 07، ديسمبر 2016، ص 298.

ووجه الإعجاز في القراءتين أن: قراءة الجمهور أبلغ بالذنب وأدلّ عليه، فهي تدّل على كونه "مرائيًا" وعلى أنه يُشهِدُ الله باطلًا على نفاقه ورياءه.[1] وأمَّا القراءة الثّانيّة فلا تدّل إلاّ على كونه كاذبًا.[2]

وكلا المعنيين صحيح؛ إذ يُشْهِدُ المنافق الله على ما في قلبه زورًا وبهتانًا، والله شاهدٌ حق الشهادة على زيف شهادته، فقراءة الجمهور حملت رسالة النفاق والرياء والإشهاد بالباطل، وقراءة ابن عباس دلّت على أنه كاذب في دعوى محبة الدّين والرسّول، وأن الذي في قلبه هو نفاق ومن ثمة فهو يضمر خلاف ما يُظهر.

النموذج الثاني:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿فَالذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِے سَبِيلِے وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ **[آل عمران: 195]**

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرِيٰ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۖ يُقَٰتِلُونَ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**﴾ [سورة التوبة:111]. قرأ حمزة والكسائي وخلف بتقديم "قُتِلُوا" وتقديم "يُقْتَلُون" الفعل المجهول فيهما، وقرأ الباقون بتقديم الفعل المسمّى الفاعل فيهما.[3]أي إنه قُرِئ: ﴿**وَأُوذُواْ فِے سَبِيلِے وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ**﴾ و: ﴿**فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ**﴾.

وأمَّا في قراءة حمزة والكسائي بتقديم "قُتِلُوا" و "يُقْتَلُون"؛ ففيها بعض إشكال، لأنّه قد يُتَوَّهَمُ الخطأ على قارئ القراءة بتقديم المبني للمجهول على المعلوم من باب إفادة الواو الترتيب؛ إذ يقال: لما قُتِلُوا فكيف قاتلوا بعدها؟ إذ هو من المستحيل وقوعه، ومثل ذلك في قراءة: يُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ.

وأورد العلماء لهذا التّقديم تخريجات، منها:

[1] – الرازي، مفاتيح الغيب، 215/5.

[2]– مر.ن، ص.ن.

[3] –ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/ 246.

الأوّل: أن الواو لا تقتضي الترتيب، كقوله: ﴿يَا مَرْيَمُ أُقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران / 43]، فلذلك قدّم معها ما هو متأخر عنها في المعنى وهو السجود على الركوع، هذا إن حملنا ذلك على اتحاد الأشخاص الذين صدر منهم هذان الفعلان.

الثّانيّ: أن تحمل ذلك على التوزيع، أي: منهم من قُتِل، ومنهم من قاتل، كقولهم: قُتِلْنَا وربِّ الكعبة؛ إذ ظهرت أمارات القتل فيهم.

وفي القراءتين بالتّقديم والتّأخير في الموضعين ملمح إعجازيّ عظيم، وهو تصوير حال المؤمنين ونظرتهم للجهاد في سبيل الله عزّ وجل؛ فقراءة الجمهور بتقديم "وَقَاتَلُوا" و "فَيُقْتَلُونَ" للإيذان باهتمام المؤمنين بجهادهم بقتل العدو لعدم الفرق عند المؤمن بين أن يَقْتُلَ، أو يُقْتَلَ؛ لكون القتال بذلًا للنفس، وأمَّا القراءة بتقديم المبني للمعلوم رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وإيذانًا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل كونه أحبّ إليه من السلامة.

ومن ثم يمكن القول: إن بين القراءتين تكاملًا؛ إذ صورت كلّ قراءة نظرة أهل الإيمان للجهاد في سبيل الله عّز وجل، فقراءة الجمهور بيّنت اهتمام المؤمنين بقتل عدوهم، والقراءة الثّانيّة وضعت اهتمامهم بسبب الشهادة التي ينالون بها جنّة ربّهم.[1]

القائل: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتاًۚ بَلَ اَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتِيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَۖ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُومِنِينَ (171)﴾ [آل عمران: 169-171]

فصورت كل قراءة وصفا لهؤلاء المؤمنين واندفاعهم للدفاع عن دين الله، وحرصهم البليغ على ذلك ومدى حبهم للشهادة.

[1]- محمد محمود الصفتي، اختلاف القراءات القرآنية بالتقديم والتأخير وأثره في المعنى، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، دسوق، مصر، ع 08 م1، ص 51 – 52

النموذج الثالث:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ [الانعام/112]

قرأ الجمهور: "شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ" بتقديم لفظة "الْإِنسِ" وتأخير "الْجِنِّ"، وقرأ الأعمش: "شَيَاطِينَ الْجِنِّ والإنسِ" بتقديم لفظة "الجْنِّ" وتأخير "الإْنسِ"،[1] وهو تقديم وتأخير بين المعطوف والمعطوف عليه.

وملمح الاختلاف في القراءتين أن قراءة "شَيَاطِينَ الْجِنِّ وَالإْنسِ" فيها بيان لجنس بعض الْجِنِّ أنّهم من الشَيَاطِينَ، وأمَّا قراءة "شَيَاطِينَ الْإِنسِ والْجِنِّ" فَتُوهِم أن الْإِنسِ أي البشر من الشَّيَاطِينَ، وذلك ليس من حقائق الخَلْقِ، إذ كلٌّ خُلِقَ من خَلْقٍ فالْإِنسِ من طين والْجِنِّ من نارٍ.

وهذا قد يكون مدخلًا لأصل الإفك للطعن على حقائق الكون التي أقرّها الله عزّ وجل في محكمة تنزيله بالتعارض والتناقض.

ومن توجيه الاختلاف في القراءتين ما ذهب إليه القرطبي (671هـ) أن المعنى واحد في القراءتين،[2] والمراد من: شَيَاطينَ الإْنسِ وَالجِنِّ مَرَدَتهم؛ فالشيطان كلّ عاتٍ متمرّد، وقيل: إن شَياطينَ الْإِنسِ هي الشَّيَاطينَ التي مع الْإِنسِ، وأمَّا شَيَاطينَ الْجِنِّ فهي الَشيَاطينَ التي مع الْجِنِّ، فهما فريقان، فريق يُضلّ الإْنسِ وفريق يُضلُّ الْجِنِّ، وقيل إن شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ، هم كفار الْإِنسِ، وكفار الْجِنِّ.[3]

وقال ابن عاشور: "شياطين الإنس استعارة للنَّاس الذين يفعلون فعل الشياطين، من مكر وخديعة وإضافة الشياطين إلى الإنس إضافة مجازيّة على تقدير "من" التبعيضية.... وشياطين الجن حقيقة، والإضافة حقيقية لأن الجن منهم الشَّياطين، ومنهم غير الشياطين".[4]

---

[1] – عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات 528/2.

[2] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 501/8.

[3] – ينظر: الطبري، جامع البيان فى تأويل آي القرآن، 313/3.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/8.

ووجه الإعجاز في القراءتين أن حاصل معنييهما أنّه: جعلنا شياطين الإنس والجنّ أعداء لكلّ نبيّ، وجعلنا مردة الإنس والجنّ لكلّ نبيّ عدُوّا يُوحي بعضهم إلى بعض من القول وما يؤذيهم به. كما أنّ القراءة الثّانيّة التي حصل على مستواها إعادة تشكيل الجملة بالتّقديم والتّأخير صوّرت الانتقال ممّا هو مجازي إلى ما هو حقيقي مادام لا يوجد في الإنس شياطين على الحقيقة، وإنَّما أفعالهم هي أفعال الشياطين، في حين نجد من الشياطين على الحقيقة وهم الكفرة منهم.

أضف إلى ذلك ربما يكون في إعادة الترتيب درجات؛ وذلك بحسب درجة الأذية والعداوة التي تلحق الأنبياء من الفئتين، فإن كانت الأذية من شياطين الإنس أو من كفرة الإنس، ومن أفعالهم التي كأفعال الشّياطين مكرًا وخديعة، كان الابتداء والتدّرج بهم وصولًا إلى أذية وعداوة شياطين الجن، وهذا ما جاءت عليه قراءة الجمهور. وإن كان المراد أن الأذية والعداوة من شياطين الجنّ أكبر و أشدّ كان التدّرج من شياطين الجنّ وصولًا إلى شياطين الإنس، وهذا ما كانت عليه قراءة الأعمش.[1]

النموذج الرابع:

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ﴾ [سورة ق / 19]

قرأ أبو بكر وأُبّي بن كعب وابن مسعود وطلحة وسعيد بن جبير: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوْتِ" وهي شاذة [2]. وقرأ الجمهور "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ".

وملمح الاختلاف بين القراءتين أن قراءة "سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ"، تتضمّن دلالة ظاهرة وهي حقيقة أن للموت سكراتٍ كما أخبر بها الحبيب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، وأمَّا قراءة "سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوْتِ" فتُوهم بأن من أسباب الموت سَكْرَةُ الحقّ والله أعلم.

وقراءة الجمهور خُرِّجت على وجهين:

[1] – عمر بوبقار، ظاهرة التقديم والتأخير في القراءات القرآنية، ص 302.

[2] – ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص 145 / ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 283/2.

أحدهما: وجاءت سكرة الموت وهي شدّته وغلبته على فهم الإنسان كالسُكْرَةِ من النوم أو الشراب، بالحقِّ من أمر الآخرة، فتبيّنه الإنسان حتى تثبته وعرفه.

والثّانيّ: وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت.[1]

وأمَّا القراءة الثّانيّة: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بالمَوْتِ" على إضافة السكرة إلى الحقِّ، والدلالة على أنَّها السكرة التي كُتِبَت على الإنسان، وأُوجبت له، والباء للتعدية، لأنَّها سبب زهوق الروح لشدّتها، أو لأن الموت يعقُبهَا فكأنها جاءت به، ويجوز أن يكون المعنى: جاءت ومعها الموت.

وقيل سكرة الحقِّ سكرة الله، أضيفت إليه تفظيعًا لشأنها وتهويلًا، لأن ما يجيء من العظيم عظيم.[2]

قال ابن جني في قراءة: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بالموت": لك في هذه الباء ضربان من التّقدير إن شئت علّقتها بنفس "جاءت"، كقولك: جئت بزيد، وإن شئت علّقتها بمحذوف وجعلتها حالًا، أي: وجاءت سكرة الحقِّ ومعها الموت، كقولنا: خرج بثيابه أي وثيابه عليه.

وكذلك قراءة «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ" إن شئت علّقت الباء بنفس "جاءت" على ما مضى، وإن شئت علّقتها بمحذوف وجعلتها حالًا فكأنه قال: وجاءت سكرة الموت ومعها الحقّ. فإن تردّدت وقلت: كيف يجوز أن تقول: جاءت سكرة الحقِّ بالموت، وأنت تريد به: وجاءت سكرة الموت بالحق؟ قُلْ: لاشتراكهما في الحال، وقُرب إحداهما من صاحبته صار كأن كلّ واحدة منها جاثية بالأخرى، لأنَّهما ازدحمتا في الحال، واشتبكتا حتّى صارت كلّ واحدة منهما جاثية بصاحبتها.[3]

ووجه الإعجاز في القراءتين أن التلازم بينهما واضح؛ إذ يعرض للميت الأمران شدّة الموت المنبئة له بأن الآخرة حق، والسكرة في نفسها حق حين تأتي يصاحبها الموت.

[1] – الطبري، جامع البيان في آي تأويل القرآن، 98/7.

[2] – الزمخشري، تفسير الكشاف، تح: خليل مأمون، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط3، 2009 م، ص 1045.

[3] – ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، 282.283/2.

2- الاختلاف بالزيادة والنقصان

يقصد بالزيادة والنقصان ما يعرض للآية من زيادة كلمة في قراءة وحذفها في قراءة أخرى، وأثر ذلك التعدّد في الإعجاز البيانيّ.

النموذج الأوّل

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتَهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة:89] جاء في قراءة: "أو تحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ"، بزيادة لفظ "مؤمنة". وهي قراءة شاذة.[1]

وملمح الاختلاف في القراءات أن القراءة الأولى -دون لفظ مؤمنة- تدلُّ على أن الكفارة تقع بتحرير رقبة على العموم دون تقييد بصفتها، وأمَّا القراءة الثّانيّة فتقّيد تحرير الرقبة بالإيمان، ما يعني أن تحرير رقبة كافر لا تُعدّ كّفارة.

وقد اختلف العلماء حقًّا في تحديد هذه الرقبة، ذلك أنّهم لم يجدوا وصفًا لها أهي مؤمنة أم كافرة؟ بمعنى مملوك مؤمن كان أم كافر.

فالجمهور يرى أنَّها مؤمنة حملًا على بقية الآيات وأخذًا بالقراءة الشاذة الأخرى "تحرير رقبة مؤمنة" في حين أن الأحناف يرون أن المهم رقبة لا شرط أن تكون مؤمنة.[2]

وجه الإعجاز في هذه القراءة أنّها بيّنت ورجحت حكمًا مختلفًا فيه، فالأوّل شريطة أن تكون رقبة مؤمنة والثّاني أن تكون رقبة ولا يشترط كافرة أو مؤمنة.

[1] - الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 125/1.

[2] - حازم السعيد، إعجاز القراءات القرآنيّة، مقطع مرئي،تاريخ النشر:2016/01/90،تاريخ الاطلاع: Https://youtü.befznzMVX-W4Bl?si=wOmiVKLrKD8cN83W. 2014/05/11

النموذج الثّانيّ

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَإِنَ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوَ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوَ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: 12] . قرأ سعد بن أبي وقاص: "وَلَهُ أَخٌ أَو أُخْتٌ مِن أم" بزيادة لفظة "من أم".[1]

وملمح الفرق بين القراءتين أن الأولى تدلُّ على عموم الأخوة من النِّساء سواء أخوة من أم وأب، أمْ أخوة من أب دون أم، أمْ أُم دون أب، فيستوي فيها الأخت في الإرث.

وأمّا القراءة الثانية ففيها تخصيص للإخوة من جهة الأم.

يقول ابن عاشور: "يتعين على قول الجمهور في معنى "الكلالة" أن يكون المراد بهما الأخ والأخت لأم خاصّة؛ لأنّه إذا كان الميت لا ولد له ولا والد، وقلنا له أخ أو أخت، وجعلنا لكلّ واحد منهما السُّدس نعلم بحكم ما يشبه دلالة الاقتضاء أنَّهما الأخ والأخت للأم؛ لأنّهما لما كانت نهاية حظهما الثلث...فتعين أن الأخ والأخت مراد بهما اللذان للأم خاصّة ليكون الثُّلثان للإخوة والأشقاء أو الأعمام أو بني الأعمام".[2]

إن قراءة سعد بن أبي وقاص بالزيادة بيّنت أن المراد بالإخوة في هذا الحكم الإخوة للأم دون الأشقاء ومن كانوا للأب، وهي قراءة شاذة غير أنَّها وضّحت حكمًا شرعيًا مجمعًا عليه، وهو شريطة أن تكون الأخت لأم.

" وقد أثبت الله بهذا فرضًا للإخوة للأم إبطالًا لما كان عليه أهل الجاهلية من إلغاء جانب الأمومة أصلًا " [3]

---

[1]- الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 125/1.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير،265/4.

[3]- مر.ن، ص.ن.

ووجه الإعجاز في القراءتين أن القراءة الثانية –الشاذة– وضّحت حكمًا شرعيًا في الفقه الإسلاميّ أجمع الفقهاء على أنّه هو المقصود، وبالتالي فالقراءة الثّانيّة أكدت معنى الأولى –من غير لفظ أم– على أن الأخت ينبغي أن تكون من الأم لترث السُّدس.

وهذا إن دلّ على شيء فإنَّما يدلُّ على ضبط القرآن الكريم لضوابط ومعايير الميراث في الدّين الإسلاميّ.

3– الاختلاف من حيث الإعراب

نقصد بالاختلاف في الإعراب تغيّر أحوال أواخر الآية الواحدة من قراءة إلى أخرى، وأثر ذلك في الإعجاز.

النموذج الأوّل

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْئَلْ عَنِ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة/ 119]

قرأ نافع بفتح التاء وجزم اللام "تَسْأَلْ"، وقرأ الجمهور بضم التاء ورفع اللام " تُسْأَلُ"[1]

ووجه الاختلاف أن قراءة "لاتَسْأَلْ" تتضمن معنى النّهي عن السؤال من قِبل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن أصحاب الجحيم –وهو نهي غير حقيقي– على معنى الإخبار؛ ذلك أن "لا" جازمة ناهية، وأمَّا قراءة "لا تُسْأَلُ" ففيها نفي لوقوع السؤال للرّسول عن أصحاب الجحيم من غيره وذلك ببناء الفعل للمجهول، وتوجيه الخطاب للرّسول الله عليه وسلّم.

وتوجيه القراءتين: أن قراءة الرفع تُفيد أنَّك لا تسأل عن ذنوبهم، وإنَّما هم يسألون عنها، والجملة على سبيل الاستئناف، أو الحال، والمعنى: إنا أرسلناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا، وغير مسؤول عن أصحاب الجحيم، وأرسلناك غير سائل عنهم.[2]

---

[1]– ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 169 / مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، 262/1.

[2] –ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، 297/1.

قال ابن عاشور: "وقراءة الرفع تقرير لمضمون: " إنّا أرسلناك بالحقِّ". والسؤال كناية عن المؤاخذة واللّوم أي: لست مؤاخذًا ببقاء الكافرين على كفرهم بعد أن بلّغت لهم الدعوة".[1]

وأمّا قراءة النّهي "ولا تَسْأَلْ " فهي على أسلوب التعظيم لما صاروا إليه من العذاب. وتعظيم العقوبة لأهل النار، فهو إخبار عن ذلك الأمر كما تقول: "لا تَسْألْ عن فلانٍ، إذا أردت تعظيم ما هو فيه إمَّا بالخير و إمَّا بالشرّ".[2]

قال ابن عاشور: "والسؤال هنا مستعمل في الاهتمام، والتطّلع إلى معرفة الحال؛ لأن المعني بالشيء المتطلع لمعرفة أحواله يكثر من السؤال عنه، أو هو كناية عن فظاعة أحوال المشركين والكافرين، حتى إن المتفكر في مصير حالهم ينهى عن الاشتغال بذلك، لأنّها أحوال لا يُحيط بها الوصف، ولا يَبْلُغُ إلى كُنْهَهَا العقل في فضاعتها وشناعتها، وذلك أن النّهي عن السؤال يرد لمعنى تعظيم أمر المسؤول عنه، نحو قول عائشة رضي الله عنها: "يُصَلى أربعًا فلا تَسْأَلْ عن حسنهن وطولهن". ولهذا شاع عند أهل العلم إلقاء المسائل الصعبة بطريقة السؤال نحو (فإن قلت) للاهتمام"[3].

ووجه الإعجاز في القراءتين يتجلّى من خلال المعاني المحتملة للفظة "تَسْأَل" فهي تحمل بشائر الارتياح والطمأنينة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأن الله سبحانه وتعالى لا يسأله عن أهل الجحيم، لأنّه أدى واجبه نحوهم، فدعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وتَرْكِ الشرك به، وأمرهم بالامتثال لأوامره، والانتهاء عمّا نهاهم عنه، لكنّهم أصروا على كفرهم وكذبوا بما جاء به، وفي القراءة الثّانيّة نهي حقيقي للرّسول صلّى الله عليه وسلّم أن يسأل عن الكفار والمشركين يوم يوم القيامة وما جرى لهم.

النموذج الثّانيّ

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 662/1.

[2] - مر.ن، 692/1.

[3] مر.ن، ص.ن.

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ امَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إلى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُواَ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمُ إلى الْمَرَافِقِ وامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلُكُمُ إلى الكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة :07]

قرأ أبو بكر عن عاصم "وَأَرْجُلِكُمْ" بالخفض، وقرأ حفص عن عاصم "وَأَرْجُلَكُمْ" بالنصب.[1]

اختلاف الإعراب في القراءتين أدّى إلى اختلاف في المعنى، ففي قراءة النصب "أَرْجُلَكُم" يكون فيها "أرجُل" معطوفًا مؤخرًا على "وجوهَكم وأيديَكم"، ومن ثمة يشترك معهما في الحكم وهو "الغُسل"، وأمّا القراءة بخفض لفظ "أَرْجُلِكُمْ"، فيكون فيها معطوفًا على "رؤوسِكم"، ما يُحيل على أن الأرجل تُمسح لاشتراكها في الحكم مع الرؤوس. وفي هذا اختلاف في حكمٍ شرعيٍ، يصل إلى حدّ التناقّض.

والتّوجيه في القراءتين: أن قراءة النصب ردّها إلى الواو على أول الكلام، لأنه عطف محدودًا على محدود، لأن ما أوجب اللهُ غسلَه، فقد حصره بحدٍّ، وما أوجب مسحه أهمله بغير حدّ.[2]

قال ابن عاشور: وقوله: "وَأَرْجُلَكم" قرأه نافع، و ابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب –بالنصب– عطفا: على "وأيديكم" وتكون جملة "وامسحوا برؤسكم" معترضة بين المتعاطفين، وكأن فائدة الاعتراض الإشارة إلى ترتيب أعضاء الوضوء لأن الأصل في التّرتيب الذكري على أن يدلّ على التّرتيب الوجودي، فالأرجل يجب أن تكون مغسولة؛ إذ حكمة الوضوء هي النّقاء والوضاءة والتّنظيف والتّأهب لمناجاة الله تعالى تقتضي أن يبالغ في غسل ما هو أشدّ تعرّضًا للوسخ، فإن الأرجل تلاقي غبار الطرقات وتُفرز الفضلات بكثرة حركة المشي. ولذلك كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يأمر بمبالغة الغسل فيها، وقد نادى صلّى الله عليه وسلّم بأعلى صوته الذي لم يُحسن غسل رجليه: "وَيْلٌ للأعقاب من النّار" [3]

وأمّا قراءة الخفض "وَأَرْجُلِكُمْ" أفادتْ: أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن بالمسح على الرأس والرجل، ثم عادت السّنة للغسل. [4]

---

[1]– ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 243.

[2]– ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص129.

[3]– ابن عاشور، التحرير والتنوير،130/6.

[4]– مر.س، ص.ن.

قال ابن عاشور: "وقرأ ابن كثير وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم، وخلف -بخفض - "وَأَرْجُلِكُمْ". وللعلماء في هذه القراءة تأويلات: منهم من أخذ بظاهرها فجعل حكم الرجلين المسح دون الغسل، روي عن أنس : قال نزل القرآن بالمسح والسّنة بالغسل، وهذا أحسن تأويل لهذه القراءة فيكون مسحُ الرجلين منسوخًا بالسنة" [1]

ومن الذين قرأوا –بالخفض- من تأويل المسح في الرجلين بمعنى الغسل، وزعموا أن العرب تُسمّي الغسل الخفيف مسحًا، وهذا الإطلاق إن صحّ لا يصّحُ أن يكون مرادًا هنا؛ لأنّ القرآن فرّق في التعبير بين الغسل والمسح.[2]

وقال الطبري: "فوجه صواب قراءة من قرأ ذلك نصبًا، لما في ذلك من معنى عمومها بإمرار الماء عليهما. ووجه صواب قراءة من قرأ خفضًا، لما في ذلك من إمرار اليد عليهما، أو ما قام مقام اليد مسحًا به" [3]

ووجه الإعجاز في القراءتين أن كل قراءة دلت على معنى؛ ذلك المعنى نتج عنه حكمٌ شرعيٌ يختلف عن الآخر؛ فقراءة النصب تفيد طلب أو حكم الغسل لأن العطف يكون حينئذ على لفظ "وجوهكم" المنصوب وهو المغسول، وقراءة الخفض تفيد المسح لأن العطف حينئذ يكون على لفظ "رؤوسكم" المجرور وهو ممسوح.

وبالتالي فالقراءتان قامتا مقام آيتين، إذ فُهم من القراءة الأولى -النصب- حكم الغسل، والقراءة الثانية – الخفض- حكم المسح، والسنة بيّنت ذلك.

النموذج الثالث

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 6/ 131.

[2] – مر.ن، 131/6.

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن، 39/3.

اختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأنثى﴾ [آل عمران/ 36] .قرأ ابن عامر ويعقوب وأبو بكر وعاصم بضم التاء وإسكان العين "وَضَعْتُ"، وقرأ حفص وعاصم و المفضل بفتح العين وإسكان التاء " وَضَعَتْ" [1].

ومملح الاختلاف في القراءتين أن قراءة الضم "وَضَعْتُ" التاء فيها للمتكلم، وهي في محل رفع فاعل.

وقد أفادت هذه القراءة من سياقها أنّ هذا كلام أم مريم، وهو يجري مجرى قول القائل: "يا ربّ قد كان كذا وكذا، وأنت أعلم بما جرى من شأني" [2] فلا تقول ذلك على سبيل إعلام ربّك بشأنك؛ لأن الله سبحانه أعلم بما يجري على عبيده، وإنما تريد بذلك الاستسلام والخضوع لأمره. فقولها "رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى" كانت كأنّها أخبرت الله بأمر هو أعلم منها، فتداركت ذلك بقولها "والله أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ" هذا على سبيل خضوعها لقدر الله .

فأفادت هذه القراءة استسلام هذه المرأة لقدر الله واعتذارها منه بشأن خدمة البيت المقدس.

وأمّا قراءة الجمهور "وَضَعَتْ" فالتاء فيها للتأنيث والفاعل ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة الله .

وقد أفادت هذه القراءة أنّها من قول الله؛ لأن زوجة عمران قالت: "رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا" فقال سبحانه تعالى: ﴿الله أَعْلَمُ﴾ بذلك وأن لهذا المولود شأن لم تعرفه، ولم تعرف إلاّ كونه أنثى.

قال الزمخشري (538هـ): "وَلِتَكَمُّلِهَا بذلك على وجه التحزّن والتحسّر قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ تعظيمًا لموضوعها وتجهيلًا لها بقدر ما وُهِبَ لها منه، ومعناه: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور، وأن يجعلها وولدها آية للعالمين، وهي جاهلة بذلك، لا تعلم منه شيئًا، فلذلك تحسرتْ".[3]

[1]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 239/2 / ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 204.

[2]- الفارسي، الحجة للقراء السبع،32/3.

[3] - الزمخشري، تفسير الكشاف، تح: خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط3، 2009 ،169/3.

ووجه الإعجاز في القراءتين أن كلّ قراءة أفادتْ معنى يختلف عن الآخر، فقراءة الضمّ أفادتْ حالة "زوجة عمران" وهي مستسلمة خاضعة لأمر الله غير معترضة له، وأمّا قراءة التسكين أفادت التنبيه على قدر هذا المولود وعظيم شأنه.

فمن مجموع القراءتين نخلص إلى أن "أم مريم" أبدت خضوعها واستسلامها لأمر الله واعتذارها بشأن ما نذرته حِيَالَ المولود، وأن ثمة أمرًا عظيمًا، ينتظره وذلك تجلى من خلال التعبير الذي تجسد في حركة التاء وسكونها.

النموذج الرابع

اختلف القّراء في قراءة قوله تعالى: ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ له بِوَلَدِه﴾ [البقرة /233]

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالضّم "تُضَارُّ"، وقرأ الباقون بالنّصب "لا تُضَارَّ".[1]

وملمح الاختلاف في قراءة الضّم والنّصب أن:

قراءة الفتح [2]"تُضَارَّ" فهي على أسلوب النهي، إذ سُكنت الراء الأخيرة للجزم وقبلها الراء الأولى ساكنة للإدغام فالتقى ساكنان، "لاتُضَارْرْ"، فتحرك الأخير منها بالفتح "لاتُضَارْرَ" وهو أخف الحركات.

قال ابن عاشور: "ولم تعطف على الجملة التي قبلها "لَا تُكلَّف نَفْسٌ إلَّا وسعها". تنبيهًا على أنها مقصودة لذاتها، فإنها تشريع مستقل، وليس فيها معنى التعليل الذي في الجملة قبلها، بل هي كالتفريغ على جملة [لا تُكَلِّفُ نَفْسٌ أَلا وُسْعَهَا] لأن إدخال الضُّرِّ على أحد بسبب ما هو بُضْعة منه، يكاد يَخْرج عن طاقة الإنسان، لأن الضّرار تضيق عنه الطاقة، وكونه بسبب مَنْ يُتَرَقَّب منه أن يكون بسبب نفع أشدُّ ألمِا على النفس .

[1] – ابن مجاهد، السبعة في القراءات، 183.

[2] – ابن أبي مريم الموضح في وجوه القراءات وعللها، 1/ 329.

فكان ضررُه أشدّ، ولذلك أُختير لفظ الوالدة هنا دون الأم"[1]، وأمّا قراءة الرفع "تُضَارَّ" فهى تشاكل جملة (لا تُكَلّفُ) أي: ليست تُكَلَّف نفسٌ الاَّ وُسْعَهَا، وليست تُضَارُّ والدةٌ بولدها، يعني بذلك أنّه ليس ذلك في دين الله وحكمه، وليس ذلك من أخلاق المسلمين.[2]

ووجه الإعجاز في القراءتين في هذه الآية الكريمة أن قراءة الفتح وَجَّهَتْ إلى نهي الوالدين عن مضارَّة المولود على سبيل التصريح بهذا النّهي، وسدّتْ منافذ ما تُسَوّل لهما أنفسهما من اتخاذ المولود وسيلة منافد ما تُسَوَّل لهما أنفسهما من اتخاذ المولود وسيلة للمضارَّة، ووّجهت قراءة الرفع إلى معنى خُلقي عظيم وهو الذي لمحه الإمام الطبري من أنَّ الأصل في المجتمع المسلم ألا يحدث فيه ذلك، فلا يقع أصلًا من أحد الأبوين [3] وكلتا القراءتين أسست لمعنى يختلف عن الآخر.

[1] – ابن عاشور التحرير والتنوير، 433/2.

[2] – ينظر: جامع البيان في تأويل أي القرآن، 60/2.

[3] – محمّد الخراط، الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنيّة المتواترة، ص 204.

خاتمة

انطلق البحث من محاولة تتبّع وجوه الإعجاز البياني في ضوء تعدّد القراءات القرآنيّة، وتوصلنا من خلاله إلى نتائج أهمها:

1- القراءات القرآنيّة أبعاض القرآن لها من القدسيّة والإعجاز ما للنّصّ القرآنيّ.

2- يتجلّى في القراءات القرآنيّة إعجاز الإيجاز، من حيث قيام الآية الواحدة مقام الآيات المتعدّدة.

3- اختلاف القراءات القرآنيّة اختلاف تنوّع وتغاير، لا اختلاف تضادٍّ وتناقض.

4- كثير من أوجه الفرق بين القراءات القرآنيّة مردّه إلى التعدّد اللّهجيّ، لاسيما في المستوى الصّوتيّ، ممّا يجعل القراءات القرآنيّة مرآة صادقة تعكس التنوع اللّهجيّ في لغات العرب.

5- لبعض مظاهر التّنوع الصّوتيّ في القراءات القرآنيّة أثر في المعنى؛ والدلالة على المقام الذي تشير إليه الآية.

6- لا يلزم من اختلاف القراءات أن يكون لها أثر في المعنى، كما هو الحال في الاختلافات المتعلقة بالهمز والتسهيل والإمالة.

7- لتعدّد القراءات القرآنيّة في المستوى الصّرفيّ ملمح إعجازيّ يظهر في تفاوت المعاني بتفاوت الصيغ الصّرفيّة التي جاءت بها القراءات، إمّا على وجه التكامل، أو التأسيس لمعنى.

8- لاختلاف بعض القراءات أثر في اختلاف الأحكام الشرعيّة، بما يُفضي إلى التوسعة فيها لا الدلالة على التناقض والتعارض.

9- لتعدّد القراءات مقصدان رئيسان: إمّا تأكيد القراءات بعضها بعضاً، أو إمّا التأسيس لمعنى جديد مكمّل للمعنى الأوّل.

10- تقصّي صور الإعجاز البياني في القراءات القرآنيّة باب عظيم من أبواب فقه القراءات، يتجلّى فيه إعجاز الإيجاز الذي يجعل اللّفظ الواحد بقراءاته يُفيد معاني عديدة، تتعدّد

بها الصور وتتكامل، وتؤكّد ريادة اللّغة العربيّة ذات الفصاحة العجيبة، الحمّالة من المعاني لوجوه لا حصر لها.

قائمة المصادر
و المراجع

- المصحف الشريف برواية ورش عن نافع، النشر القدس، القاهرة، مصر، (د.ت).

أولاً: الكتب التّراثيّة

- الأزهري (محمّد بن أحمد بن الأزهري الهرويّ أبو منصور ت370هـ).

1. معاني القراءات، تح: عيد مصطفى درويش وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط01، 1991م.

- البخاري (أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل ابن إبراهيم الجعفي البخاري ت256هـ)

2. صحيح البخاري، (د.تح)، البشرى، كراتشي، باكستان، (د.ط)، 2016م.

- ابن الجزري (شمس الدّين أبو الخير ابن الجزري محمّد بن محمّد بن يوسف ت832هـ)

3. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (د.تح)، مكتبة القدسيّة، القاهرة، مصر،(د.ط)، 1350هـ.
4. النشر في القراءات العشر، (د.تح)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ت392هـ)

5. المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي ناصر النجدي، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

- أبو حيان الأندلسي (أبو حيان محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدّين الأندلسي ت745هـ)

6. تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1993م.

- ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النّحويّ الشافعي ت370هـ)

7. الحجة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط03، 1979م.

8. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (د.تح)، مكتبة المتنبي، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- الرازي (أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدّين الرازي حطيب الري ت606هـ)

9. مفاتيح الغيب، (د.تح)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني ت502هـ)

10. المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

- الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ت311هـ)

11. معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبدو شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

- الزرقاني (محمّد عبد العظيم ت1122هـ)

12. مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

- الزركشي (أبو عبد الله بدر الدّين محمّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت794هـ)

13. البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- الزمخشري (الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمّد الزمخشري ت538هـ)

14. الكّشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: محمّد عبد السّلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

- ابن السبكي (تاج الدّين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ت771هـ)

15. جمع الجوامع في أصول الفقه، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م.

- السمين الحلبي (أبو العباس شهاب الدّين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي).

16. الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، سوريا، (د.ط)، (د.ت).

- سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر الملقب سيبويه ت180هـ)

17. الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت).

- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدّين السيوطي ت911هـ=

18. المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، (د.ت).

- الشاطبي (إبراهيم بن موسى بن محمّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ت790هـ).

19. حرز الاماني ووجه التهاني، تح: محمّد تميم الزغبي، دار الغوثاني الدّراسات القرآنيّة، المدينة المنورة، السعودية، ط5، 2010م.

- الشوكاني (محمّد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليمني ت1250هـ=

20. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، تح: أبي حفص سامي بن العربي الأشري، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط1، 2000م.

- الطبري (محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري ت310هـ).

21. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

- عبد الفتاح القاضي (عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمّد القاضي ت1403هـ).

22. الوافي في شرح الشاطبيّة في القراءات السبع، (د.تح)، مكتبة السوادي، جدّة، السعودية، ط1، 1999م.

- عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد الفارسي الأصل الجرجاني ت471هـ).

23. دلائل الإعجاز، تح: أبو فهد محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- عثمان الذهبي (شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت748هـ).

24. معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1988م.

- أبو علي الفارسي (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل أبو علي ت377هـ).

25. الحُجّة في علل القراءات السبع، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

26. الحُجّة للقرّاء السبعة، (د.تح)، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

- الغزالي (أبو حامد محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي ت505هـ).

27. المستصفى من علم الأصول، تح: ناجي السويد، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

- ابن قتيبة (أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت276هـ).

28. تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973م.

- القرطبي (أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت671هـ).

29. الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2002 م.

- المبرّد (محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر
- الثمالى الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرّد ت285هـ).

30. المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، مصر، ط2، (د.ت).

- ابن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس التميمي أبو بكر بن مجاهد البغدادي ت324هـ).

31. السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- محمّد البنا (أحمد بن محمّد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي شهاب الدّين الشهير بالبنات ت1117هـ).

32. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: محمّد إسماعيل شعبان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

- مكي بن أبي طالب (أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي ت427هـ).

33. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدّين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1984م.

- ابن أبي مريم (نصر بن علي بن محمّد أبي عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي النّحوي المعروف بابن أبي مريم ت575هـ).

34. الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، جدّة، السعودية، ط1، 1993م.

- ابن يعيش (يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمّد بن علي أبو البقاء موفق الدّين الأسدي الموصلي المعروف بابن يعيش ت643هـ).

35. شرح المفصل، تح: مشايخ الأزهري المعمور، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

ثانياً: الكتب الحديث

- أحمد بن محمّد الخرّاط

36. الإعجاز البيانيّ في ضوء القراءات القرآنيّة المتواترة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، السعودية، (د.ط)، (د.ت).

- أحمد البيلي

37. الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1988م

- أماني بنت محمّد عاشور

38. الأصول النيرات في القراءات، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط03، 2011م.

- رمضان البوطي

39. من روائع القرآن، دار الفارابي للمعارف، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2007م.

- ابن زنجلة

40. حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط05، 1997م.

- سيد قطب

41. في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط01، 1972م.

- أبو شامة

42. إبراز المعاني من حرزّ الأماني في القراءات السبع، تح: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

- صبري الأشوح

43. إعجاز القراءات القرآنيّة دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القرّاء، مكتبة وهيبة، القاهرة، مصر، ط01، 1998م.

- ابن عاشور

44. تفسير التحلرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1884م.

- عبد الحليم بن محمّد الهادي قابة

45. القراءات القرآنيّة (تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها)، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

- عبد الرحمن الحمبكة الميداني

46. العقيدة الإسلاميّة وأسسها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط02، 1979م.

- ابن عطية الأندلسي

47. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

- عبد العليم إبراهيم

48. تيسير الإعلال والإبدال، دار غريب، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- عبد الفتّاح الخالدي

49. البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، (د.ط)، (د.ت).

- عبد القيوم السندي

50. صفحات في علوم القرءات، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

- عبد اللطيف الخطيب

51. معجم القراءات، دار سعد الدّين، دمشق، سوريا، ط01، 2002م.

- عبد المجيد الزنداني

52. تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

- عبده الراجحي

53. اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، دار المعرفة الجامعيّة، الأسكندرية، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- غانم قدور الحمد

54. محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، ط01، 2003م.

- فتحي عبد القادر

55. بلاغة القرآن في أدب الرافعي، دار المنار، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- فضل عباس حسن

56. إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، عمان، الأردن، ط02، 2010م.

57. إعجاز القرآن الكريم، تح: عبد العزيز الحياط وآخرون، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط02، 1997م.
58. إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس، عمان، الأردن، ط08، 2015م.

- محمّد سالم محيسن

59. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط02، 1988م.

- محمّد علي الصابوني

60. التبيان في علوم القرآن، دار إحسان، القاهرة، مصر، ط03، (د.ت).

- محمّد المبارك

61. فقه اللّغة وخصائص العربيّة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط01، (د.ت).

- محمّد المتولي

62. الروض النضير في تحرير أوجه الكتاب المنير، تح: خالد حسن أبو الجود، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)، 2004م.

- محمود عبد الحسين الثعالبي

63. محاضرات في الإعجاز القرآنيّ، مؤسسة أم أبيها، بغداد، العراق، ط01، 2022م.

- مصطفى صادق الرافعي

64. إعجاز القرآن والبلاغة والنّبويّة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2003م.
65. تاريخ آدب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2000م.

- هارون يحي

66. المعجزات القرآنيّة، (د.م)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

ثالثا: المعجمات اللّغويّة

- الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي ت393هـ)

67. الصّحاح، تح: محمّد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009م.

- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ت538هـ)

68. أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السود، منشوارت محمّد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م.

- ابن فارس (أحمد بن فاري بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين ت395هـ)

69. مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1979م

- ابن منظور (محمّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور الأنصاري ت711هـ)

70. لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1119م

رابعاً: المقالات الواردة في المجلات

- سيف بن منصر بن علي الحارثي

71. الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، كليّة الشريعة وأصول الدّين، جامعة نجران، السعودية، (د.ت).

- فضل عباس حسن

72. القراءات القرآنيّة من الوجهة البلاغيّة، دار المنظومة، العلوم الإنسانيّة، الجامعة الأردنيّة، الأردن، مج14، ع07، جويلية 1978م

- محمّد بولقصاع

73. الإعجاز الغيبي المستقبلي في القرآن الكريم- زوال بني إسرائيل أنموذجاً_، مجلة رفوف، محبر المخطوطات، جامعة أدرار، الجزائر، مج10، ع01، 25 جانفي 2022م.

- محمّد محمود الصفتي

74. اختلاف القراءات القرآنيّة بالتّقديم والتّأخير وأثره في المعنى، حولية كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة للبنات، دسوق، مصر، مج01، ع08.

خامساً: مذكّرات الماجستير والدكتوراه

- خالد مهدي

75. محاضرات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، السنة الثانية ماستر، كليّة العلوم الإسلاميّة، جامعة الجزائر01، بن يوسف بن خدة، 2020م.

- روضة عبد الكريم فرعون

76. إعجاز النظم القرآنيّ في آيات التشريع النظرية والتطبيق، رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير، في تفسير القرآن وعلومه، كليّة الدراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، الأردن، 2002م.

- عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود

77. الإعجاز النفسي في القرآن الكريم (دراسة تأصيّلية)، رسالة ماجستير، كليّة الدراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، عمان، الأردن، 2005م.

- محمّد أحمد عبد العزيز الجمل

78. الوجوه البلاغيّة في توجيه القراءات القرآنيّة المتواترة، رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات درجة الدكتوراه، كليّة التفسير وعلوم القرآن، جامعة اليرموك، أربد، الأردن، 12 فيفري 2005م.

سادساً: الوسائط الإلكترونيّة

- حازم السعيد

79. إعجاز القراءات القرآنيّة، مقطع مرئي، تاريخ النشر:2016/01/90، تاريخ الاطّلاع: 2024/05/11.-http://youtu.befznzMVX W4BI ?si=wOmiVKLrKD8cN83W.

- راغب السرجاني

80. الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم، موقع قصة الإسلام، 3أكتوبر2011م، تاريخ الاطلاع: 3ماي 2024م، الساعة: 16:30مساء

- علي نايف السعود

81. الإعجاز اللّغوي والبيانيّ في القرآن الكريم، المكتبة الشاملة الذهبيّة، تاريخ الاطلاع: 28أفريل 2024م، الساعة:20:20 مساء، http://www.shamela.ws.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ

الفصل الأوّل .....أ

الإعجاز في ضوء القرآن والقراءات القرآنيّةأ

أولاً: القرآن الكريم والقراءات القرآنيّة 2

تعريف القرآن: 2

وضعًا: 2

ب- اصطلاحًا:.....3

تعريف القراءات القرآنيّة 4

وضعًا: 4

ب – اصطلاحًا:.....5

ثانيًا: تأصيل القراءات القرآنيّة، وأوجه تعدّدها 10

القراءات القرآنيّة: نشأتها ومصدرها. 10

أ-نشأتها.....10

المرحلة الأولى: القرآن والقراءات في الزمن النّبوة 10

المرحلة الثالثة: بدء التأليف في القراءات والتدوين: 14

ب-شروط قبول القراءة 14

ج-مراتب القراءات: 15

أ -الواقع اللّغويّ في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام: 16

ب – نزول القرآن واحتواؤه التباين اللّغويّ في ضوء القراءات القرآنيّة: 18
ج –نماذج من القراءات القرآنيّة التي جاءت وفق اللّهجات العربيّة 19
أ–الفتح والإمالة: 22
ب– الإبدال 23
ج – الهمز والتسهيل: 25
د–التخفيف والتشديد: 26
أ–التبادل بين اسم الفاعل واسم المفعول: 27
ب– الاختلاف بين صيغتي " فَعِلٌ " و " فَاعِل " 28
ج– بين "فَعَلٌ" و"فَعْل": 28
هـ– الاختلاف بإبدال كلمة مكان كلمة: 29
هـ – الاختلاف في نوع الجمع 30
و– الاختلاف في الاسم والفعل 30
أ–الاختلاف من حيث التّقديم والتّأخير: 31
ب الاختلاف بالزيادة والنقصان 31
ج– الاختلاف من حيث الإعراب: 32
ثالثاً: أوجه الإعجاز القرآنيّ: 36
1–مفهوم الإعجاز 36
أ–وضعًا 36
ب – اصطلاحًا 37

أ- الحرف 42
ب-الكلمة القرآنيّة 43
ج -الجملة القرآنيّة..... 44
د- الآية القرآنية..... 45
2-3 الإعجاز التشريعيّ 47
2-4 الإعجاز الغيبيّ: 50
الفصل الثّانيّ..... 1
من وجوه الإعجاز البيانيّ في القراءات القرآنيّة..... 1
أولًا: أوجه الإعجاز البيانيّ في المستوى الصّوتيّ 60
الإبدال 61
أ-إبدال الصاد سيناً..... 61
إبدال الباء تاءً..... 63
الهمز والتسهيل 64
التخفيف والتشديد 66
ثانيًا: أوجه الإعجاز البياني في المستوى الصّرفيّ: 72
تعدد أبنية الأسماء في القراءات القرآنيّة، وأثره في الإعجاز. 72
أ-التبادل بين اسم الفاعل واسم المفعول 72
ب-الاختلاف بين صيغتي "فَعِلٌ" و "فَاعِل": 76
أ-الاختلاف بين صيغة "فَعَلَ" و" فَعّلَ:" 78

ب-الاختلاف في صيغتي "أَفْعَلَ وفَعَّلَ" 79

ثالثًا: أوجه الإعجاز البيانيّ في المستوى التركيبي 88

الاختلاف بالتقديم التّأخير 88

الاختلاف بالزيادة والنقصان 95

الاختلاف من حيث الإعراب 97

الخاتمة 104

قائمة المصادر و المراجع 107

فهرس الموضوعات 119

ملخص 124

ملخص:

تسعى هذه الدراسة الموسومة بـــــ "تجليات الإعجاز البيانيّ في تعدّد القراءات القرآنيّة– إلى استجلاء وجوه الإعجاز الكامنة في تعدّد القراءات القرآنيّة من حيث كونها أداءات للنّصّ القرآنيّ– في المستويات اللّغويّة الثلاثة: الصّوتيّ، والصّرفيّ، والتّركيبيّ؛ ذلك أنّها عناصر لغوية يتحقق في كلّ منها ملمح من ملامح الإعجاز البيانيّ.

الكلمات المفتاحيّة: النّص القرآنيّ– القراءات القرآنيّة– الإعجاز البيانيّ– المستوى الصّوتيّ– المستوى الصّرفيّ– المستوى التّركيبيّ.

This study entitled “The Manifestations of Rhetorical Miracle in the Diverse Ways of Qur’anic Recitations” seeks to clarify the aspects of the existing miracles in the diverse Qur’anic recitations. The latter are performances of the Qur’anic text across three linguistic levels: phonological, morphological, and syntactical. They represent linguistic elements within which features of the rhetorical miracle are embodied.

Keywords: Qur’anic text - Quranic Recitations - rhetorical miracle - phonological level - morphological level - syntactical level.